

فِدريكو غارسيا لوركا

سلسلة المسرح العالمي

ترجمة: سمير عزت نصّار

ثلاث تراجيديات

عرس الدم

يِرما

بيت بِرناردا ألبا

علي مولا

الأهلية

ثلاث تراجيديات



الأهلية للنشر والتوزيع

المملكة الأردنيّة الهاشميّة - عمّان
وسط البلد - شارع الملك حسين بناية رقم ١٢
هاتف: ٤٦٣٨٦٨٨، فاكس: ٤٦٥٧٤٤٥
ص، ب: ٧٧٧٢ عمّان/ الأردن
e-mail: alahlia@nets.jo

الطبعة العربية الرابعة ٢٠١١

ثلاث تراجيديات

تأليف
فدريكو غارسيا لوركا

إشراف ومراجعة
سمير عزت نصّار

سلسلة المسرح العالمي

فِدريكو غارسيا لوركا

ثلاث تراجيديات

ترجمة: سمير عزت نصّار



فدريكو جارسيا لوركا / تسلسل زمني

- ١٨٩٨ ٥ / حزيران / يونيو: وُلد فدريكو جارسيا لوركا في فونيت - فاكيروس، قرب غرناطة.

- ١٩١٥ كتب أول قصائده.

- ١٩١٨ نشر كتابه الأول ***Impressions Y Paisajes***

- ١٩٢٠ إنتاج ***El Maleficio de la Mariposa*** (شعر) في مدريد، وهي أولى مسرحياته.

- ١٩٢١ ***Libro de Poelmas***

- ١٩٢٣ تخرّج من كلية الحقوق، جامعة غرناطة.

- ١٩٢٧ أنتجت مسرحية *ماريا بنيدا* بنجاح في مدريد، لفتت رسومات جارسيا لوركا الانتباه في رواق / جاليريَ برشلونة.

- ١٩٢٨ ***Romancero Gitano***

- ١٩٢٩ -١٩٣٠ في الولايات المتحدة وكوبا.

- ١٩٣٠ لدى عودته: *زوجة الإسكافي العجيبة*، نجاح في مدريد

- ١٩٣١ ***Canto Jondo***

- ١٩٣٢ مخرج مسرح جامعيّ جوّال، لي باركا: *عرس الدم*، *دون بيرلمبلن* عرضتا في مدريد، إلى الأرجنتين ليلقي محاضرات، أخرج مسرحياته ومسرحيات كلاسيكية في بوينس آيريس.

- ١٩٣٤ مسرحية الدمى ***Retabillo de Don Cristobel*** عرضت في مدريد. ***Llanta por Ignacio Sanchez Mejias*** *الدفلى المرّة/ عرس الدم* عُرضت في نيويورك؛ *دونا روزيتا*، عُرضت في برشلونة.

- ١٩٣٦ تموز/ يوليو، بعد أن احتل الـ فالانج/ أنصار فرانكو لـ غرناطة، قُتل فدريكو جارسيا لوركا ودفنت جثته في قبر مجهول.

عرس الدم

تراجيديا

من ثلاثة فصول
وسبعة مشاهد

شخوص المسرحية

الأم
العريس
الحماة
زوجة ليوناردو
الخادمة
الجارة
ثلاث فتيات
ليوناردو
العروس
أبو العروس
القمر
الموت (كامرأة متسولة)
ثلاثة حطابين
فتيان
ثلاثة ضيوف

الفصل الأول

مشهد ١

غرفة صفراء

العريس *[يدخل]* أمي!

الأم: ماذا؟

العريس: أنا ذاهب.

الأم: إلى أين؟

العريس: إلى الكرم.

[ينطلق ليخرج]

الأم: انتظر.

العريس: نعم؟

الأم: فطورك.

العريس: إنسيه. سآكل عنباً. أعطيني السكين.

الأم: السكين؟ لماذا؟

العريس *[ضاحكاً]* لأقطعه بها.

الأم *[تتمتم وهي تبحث عنها]* السكين، السكين. لعنة الله على كل السكاكين، والوغد الذي اخترعها!

العريس: إنسي هذا.

الأم: ولعنة الله على المدافع والرشاشات والبنادق والمسدسات وحتى أصغر سكين صغيرة...والمعازق والمذاري.

العريس: ليكن.

الأم: لعنة الله على كل ما يجرح ويشقّ ويقطع ويمزق جسد رجل، رجل جميل في شرْخ حياته، يخرج إلى كروم عنبه، يعتني بزيتونه، لأنها له، له وحده، جزء من ميراثه.

العريس: أمي، اهدأي.

الأم:... ولا يعود ذلك الرجل الجميل. أو إذا عاد، فلكي يضع ملح صخر ليكفّ عن الانتفاخ. كيف باسم الله يمكنك أن تحمل سكيناً على جسدك؟ كيف باسم الله يمكنني أن أحتمل هذه الأفعى في صدري؟

[تخرج سكيناً من صندوق مطبخ]

العريس: هل يمكنك الحديث عن شيء آخر؟

الأم: لا، لو عشتُ مائة سنة لما تكلمتُ عن شيء آخر. أولاً، أبوك. فاح جسده برائحة أزهار قرنفل، لقد عرفتُ متعة جسده لثلاث سنوات فقط. ثم أخوك. أين العدالة؟ كيف يمكن لسكين صغيرة أو مسدس صغير أن ينهي حياة رجل ثور جميل، وسيم؟ أهدأ، لا، لن أهدأ أبداً. الأيام تذوب وتذوي واليأس ينشب مخالبه في عينيّ وحسرتها تلدغ في عينيّ، ينشبها عميقاً في جذور شعري، يسترق الخطى إلى داخل دمي، يعيش هناك.

العريس: كفى!

الأم: لن أكفّ أبداً. مَنْ سيُرجع أباك إليّ؟ أو أخاك؟ ثم هناك السجن. ما هوالسجن؟ القتلة يعيشون هناك، يأكلون هناك، يدخنون هناك، يلعبون هناك، يعزفون الموسيقى هناك! هؤلاء

القتلة يتمتعون بالموسيقى العذبة. ورجلاي الميّتان تحولا كلاهما إلى تراب وديدان وأعشاب فاحشة.. كلاهما تراب... وصمت... كزهرتَيّ إبرة راعي جميلتَيْن. وقتلتهما، ثملون في السجن، أحياء ولامبالون، ينظرون إلى الجبال.

العريس: هل تأمرينني أن أقتلهم؟

الأم: لا... لكنني يجب أن أتكلم. يجب أن أتكلم لأن عليك أن تخرج من ذلك الباب؟ إنني أكره أن تحمل سكيناً. لماذا يجب أن تخرج إلى الحقول؟ من كل قلبي أتمنى ألاّ تخرج.

العريس *[يضحك]* أوه، أمي! أمي!

الأم: كنتُ أفضّل لو كنتَ امرأة. عندئذ، ما كنتَ لتخرج الآن إلى الغدير ولرحنا نطرّز معاً حواشي وكلاّب صوفية صغيرة.

العريس *[يضع ذراعيه حول أمه ويضحك]* أمي، ماذا لو أخذتكِ معي الآن إلى الكروم؟

الأم: ماذا ستفعل عجوز في الكروم؟ هل كنتَ ستضعني تحت الكرمات الصغيرة؟

العريس *[يحملها بين ذراعيه]* يا عجوز، يا عجوز ـ أنت يا عجوز صغيرة، أنت يا سيدة عجوز صغيرة!

الأم: أبوك اعتاد أن يأخذني. تلك هي الحال مع رجال من أصل جيد؛ دم طيب. لقد خلّف جدك ابناً في كل ركن. ذلك ما يعجبني. رجال، رجال؛ قمح، قمح.

العريس: وأنا يا أمي؟

الأم: أنت ماذا؟

العريس: هل هناك داعٍ لأخبرك مرة أخرى؟

الأم *[بجدية]* أوه!

العريس: هل تظنين أن هذا سيىء؟

الأم: لا.

العريس: حسناً، إذن؟

الأم: لا أعرف حقاً. هكذا، فجأة، هذا يدهشني دائماً. أعرف أن الفتاة طيبة. أليس كذلك؟ حسنة السلوك. مجدّة بالعمل. تعجن خبزها وتخيط ثيابها، لكن، رغم هذا وحين أذكر اسمها، أحسّ كأن أحداً ضرب جبهتي بحجر.

العريس: بلاهة.

الأم: أكثر من بلاهة. سأُترك وحيدة. الآن، أنتَ فقط تُركتَ لي ـ أنا أكره أن أراك تذهب.

العريس: لكنك ستأتين معنا.

الأم: لا. لا أستَطيع أن أترك أباك وأخاك هنا وحيدَيْن. لابد أن أذهب إليهما كل صباح وإذا ابتعدت، فمن الممكن أن يموت واحد من عائلة فلكس، واحد من القَتَلة ـ فيدفنونه قرب رجلينا. ذلك ما لن يحدَث أبداً. أوه، لا! ذلك لن يحدث أبداً! لأنني سأنبش عليهم بأظافري وأخرجهم. وبمفردي سأسحقهم على الجدار.

العريس *[بحدة]* ها أنت تعودين ثانية.

الأم: إغفر لي.

[صمت]

كم مضى على تعرّفك عليها؟

العريس: ثلاث سنوات. استطعتُ خلالها أن أشتري الكرم.

الأم: ثلاث سنوات. كان لها حبيب آخر، أليس كذلك؟

العريس: لا أعرف. لا أظن هذا. على الفتيات أن ينظرن إلى مَنْ سيتزوجوهنّ.

الأم: نعم. أنا لم أنظر إلى أحد. نظرتُ إلى أبيك، وحين قتلوه نظرتُ إلى الجدار أمامي. امرأة واحدة مع رجل واحد، وذلك هو كل شيء.

العريس: أنت تعرفين أن فتاتي جيدة.

الأم: لا أشكَ في هذا. الكل سواء، أنا آسفة لأنني لم أعرف كيف كانت أمها.

العريس: أي فرق يشكّله هذا الآن؟

الأم *[تنظر إليه]* يا ابني.

العريس: ماذا؟

الأم: ذلك صحيح! أنتَ على حق! متى تريد أن أطلب يدها؟

العريس *[بسرور]* هل يبدو يوم الأحد مناسباً لك؟

الأم *[بجدية]* سآخذ لها الحلق البرونزيّ، إنه قديم جداً ـ وأنتَ تشتري لها...

العريس: أنت تعرفين أكثر عن ذلك...

الأم:... تشتريَ لها جوارب أنيقة مشغولة ـ وتشتري لك بذلتين ـ ثلاثاً! ليس لدي من أحد سواك الآن!

العريس: أنا ذاهب. غداً أذهب لأراها.

الأم: نعم، نعم ـ واعمل على أن تسعدني بستة أحفاد ـ أو قدر

ما تريد، مادام أبوك لم يعش ليعطينيهم.

العريس: المولود الأول لك!

الأم: نعم، لكن، أنجب بعض البنات. أريد أن أطرز وأصنع مخرّمات، وأعيش في سلام.

العريس: أنا متأكد من أنك ستحبين زوجتي.

الأم: سأحبها.

[تشرع في تقبيله لكنها تغيّر رأيها]

إذهب الآن. لقد كبرت الآن على القبل. أعطِها لزوجتك.

[صمت. لنفسها]

حين تصبح زوجتك.

العريس: أنا ذاهب.

الأم: وتلك الأرض حول الطاحونة الصغيرة ـ أنْهِ العمل فيها. أنتَ لم تعتن بها عناية جيدة.

العريس: أنت على حق. سأعتني بها.

الأم: ليحفظكَ الله.

[يخرج العريس. تظل الأم جالسة ـ ظهرها إلى الباب. تظهر عند الباب جارة تعصب رأسها بمنديل]

أدخلي.

الجارة: كيف حالك؟

الأم: تماماً كما ترينني.

الجارة: نزلت إلى الدكان فأتيتُ لأراك. نحن نسكن بعيداً جداً.

الأم: منذ عشرين سنة لم أذهب إلى نهاية الشارع.

الجارة: تبدين في صحة جيدة.

الأم: تظنين هذا؟

الجارة: أشياء تحدث. قبل يومين أتوا بابن جارتي وقد قطعت الآلة كلتا يديه.

[تجلس]

الأم: رَفاييل؟

الجارة: نعم. وها هو هناك. كثيراً ما أفكر في أن ابنك وابني أحسن حالاً حيث هما ـ ينامان، يستريحان ـ لا يخاطران في أن يصبحا عاجزين.

الأم: هس. ذلك كله مجرد تفكير ـ لكن، لا عزاء فيه.

الجارة *[تتنهد]*: آي!

الأم *[تتنهد]*: آي!

[صمت]

الجارة *[بحزن]*: أين ابنك؟

الأم: خرج.

الجارة: أخيراً اشترى الكرم!

الأم: كان محظوظاً.

الجارة: الآن، سيتزوج.

الأم *[كأنها تذكرت شيئاً، تسحب كرسيها نحو جارتها]*: إسمعي.

الجارة *[بسلوك سري]*: نعم. ما الأمر؟

الأم: تعرفين حبيبة ابني؟

الجارة: فتاة جيدة!

الأم: نعم، لكن...

الجارة: لكن مَنْ يعرفها جيداً حقاً؟ لا أحد. إنها تعيش وحدها مع أبيها هناك ـ بعيداً جداً ـ خمسة عشر ميلاً من أقرب بيت. لكنها فتاة جيدة. اعتادت أن تظل وحيدة.

الأم: وأمها؟

الجارة: أمها، لقد عرفتها فعلاً. جميلة. وجهها يتألق كوجه قديس ـ لكنني لم أحبها أبداً. فهي لم تحب زوجها.

الأم*[بحدة]*: حسناً، ما أكثر ما يعرفه ناس معيّنون.

الجارة: أنا آسفة. أنا لم أقصد الإساءة ـ لكن هذا صحيح. الآن، ما إذا كانت محتشمة أم لا، لم يقل أحد شيئاً. ذلك أمر لم يناقَش. كانت متعجرفة.

الأم: ها أنت تعودين ثانية!

الجارة: أنت سألتني.

الأم: أتمنى ألاّ يعَرف أحد عنهما شيئاً ـ الحيّة أو الميّت ـ أنهما كانا مثل شجرتيّ شوك، لا أحد حتى يسميهما بل يقطعهما في اللحظة المناسبة.

الجارة: أنت على حق. ابنك جدير بالكثير من الخير.

الأم: نعم ـ الكثير. لذلك السبب أرعاه. أخبروني بأنه كان للفتاة حبيب منذ بعض الوقت في الماضي.

الجارة: كانت في حوالي الخامسة عشرة. تزوج منذ سنتَين ـ ابن عم لها في الحقيقة. لكن أحداً لا يتذكر شيئاً عن ارتباطهما.

الأم: كيف تتذكرينه أنت؟

الجارة: أوه، أية أسئلة تسألينها!

الأم: نحن نحب أن نعرف عن كل ما يؤلمنا. مَن كان الفتى؟

الجارة: ليوناردو.

الأم: أي ليوناردو؟

الجارة: ليوناردو فلكس.

الأم: فلكس؟

الجارة: نعم، لكن ـ كيف يُلام ليوناردو على أي شيء؟ كان في الثامنة من عمره حين وقعت تلك الأحداث..

الأم: هذا صحيح. لكنني أسمع ذلك الاسم ـ فلكس ـ وينتابني نفس الشعور.

[متمتمة]

فلكس، ملء فم قذر.

[تبصق]

يجعلني أبصق ـ أبصق حتى لا أقتل!

الجارة: سيطري على نفسك. ماذا يفيدك هذا؟

الأم: لا فائدة. لكنك ترين كيف هي الحال.

الجارة: لا تقفي في طريق سعادة ابنك. لا تقولي له شيئاً. أنت عجوز. كذلك أنا. حان الوقت الذي يجب أن نظل فيه، أنا وأنتَ، هادئتَين.

الأم: لن أقول له شيئاً.

الجارة: *[تقبّلها]* لا شيء.

الأم *[في هدوء]*: أمور كهذه...!

الجارة: أنا ذاهبة. سرعان ما سيأتي رجالي من الحقول.

الأم: هل عرفت شمساً حارة كهذه؟

الجارة: وجوهَ الأولاد الذين يحملون الماء إلى الحصادين اسودت منها. مع السلامة يا امرأة.

الأم: مع السلامة.

[تخرج الجارة]
[تتجه الأم إلى الباب الأيسر. في وسط المسافة هناك، تتوقف، وببطء، تصلّب على نفسها]

ستار

مشهد ٢

غرفة مطلية بلون وردي فيها آنية نحاسية وأكاليل زهور عادية. في وسط الغرفة طاولة عليها غطاء قماش. الوقت صباحاً.

[تجلس حماة ليوناردو في ركن وهي تحمل طفلاً بين ذراعيها وتهدهده. زوجته في الركن الآخر ترفو جورباً]

الحماة: نم يا طفلي

كان يا ما كان، حصان كبير

لم يحب الماء.

الماء كان أسود هناك

تحت الأغصان.

حين وصل إلى الجسر

توقف وغنى.

مَنْ يدري يا طفلي،

ماذا يحوي الجدول

بذيله الطويل

في بهوه الأخضر؟

الزوجة *[برقة]*: يا قرنفلة، نم واحلم،

فالحصان لن يشرب من الجدول.

الحماة: يا وردتي، أرقد الآن ونم،

الحصان يشرع في البكاء.

وحوافره المسكينة تنزف،

وعرفه الطويل تجمّد،
وعميقاً في عينيه
غُرز خنجر فضي.
إلى الأسفل هبط نحو النهر،
أوه، إلى الأسفل هبط إلى الأسفل!
ودمه يجري،
أوه، أكثر من الماء.

الزوجة: يا قرنفلة، نم واحلم،
الحصان لن يشرب من الجدول.

لحماة: يا وردتي، أرقد الآن ونم،
الحصان بدأ يبكي.

الزوجة: لم يلمس أبداً
شاطىءَ النهر المبلل ،
مع أن خطمه كان دافئاً
وعليه ذبابات فضيّة.
هكذا، إلى الجبال القاسية
أمكنه أن يصهل فقط
حين غطى الجدول
الميّتُ حلقَه.
آي - ي - ي، على الحصان الكبير
الذي لم يحب الماء!
آي - ي - ي على حصان الفجر

الكبير الملفوف بالثلج الأبيض!

الحماة: لا تدخل! أوقفه

وأغلق النافذة

بأغصان أحلام

وحلم أغصان.

الزوجة: طفلي نائم.

الحماة: طفلي هادىء.

الزوجة: أنظر يا حصان، طفلي

صار له وسادة.

الحماة: مهده معدن

الزوجة: غطاؤه نسيج رائع.

الحماة: نم يا طفلي.

الزوجة: آي ـ ي ـ ي، على الحصان الكبير

الذي لم يحب الماء!

الحماة: لا تقترب، لا تدخل

إذهب إلى الجبال

وعبر الوديان الرمادية،

حيث توجد فرسك.

الزوجة *[تنظر إلى الطفل]* :

طفلي نائم.

الحماة: طفلي مستريح.

الزوجة *[برقة]*: يا قرنفلة، نم واحلم،

الحصان لن يشرب من الجدول.

الحماة *[تنهض واقفة، بمنتهى الرقة]*:

وردتي، أرقد الآن ونم

الحصان يشرع في البكاء.

[تحمل الطفل إلى الخارج. يدخل ليوناردو]

ليوناردو: أين الطفل؟

الزوجة: إنه نائم.

ليوناردو: أمس، لم يكن في صحة جيدة. بكى في الليل.

الزوجة: اليوم، هو كأضالية. وأنت؟ هل ذهبتَ إلى الحدّاد؟

ليوناردو: أتيت من هناك للتو. هل تصدقين؟ منذ أكثر من شهرين ظلّ يحذي الحصان بحذوات جديدة، وظلت هذه الحذوات تقع دائماً. حسبما أرى، إنه يقتلعها على الحجارة.

الزوجة: أليس هذا لأنك تركبه كثيراً جداً؟

ليوناردو: لا. أنا لا أكاد أركبه أبداً.

الزوجة: أمس، أخبرتني الجارات بأنهن رأينك في الجانب البعيد من السهول.

ليوناردو: مَنْ قال ذلك؟

الزوجة: النساء اللائي يجمعن نبات الكَبَر. يقيناً أن هذا أدهشني. أكنتَ أنت؟

ليوناردو: لا. ماذا سأفعل هناك، في تلك الأرض اليباب؟

الزوجة: ذلك ما قلتُه. لكن الحصان كان يتصبب عرقاً.

ليوناردو: هل رأيته؟

الزوجة: لا. أمك رأته.

ليوناردو: هل هي مع الطفل؟

الزوجة: نعم. هل تريد بعض الليمونادة؟

ليوناردو: بماء عذب بارد.

الزوجة: ولم تأت لتأكل حينذاك!

ليوناردو: كنت معَ كيّالي القمح. إنهم يعترضون طريقي دائماً.

الزوجة *[برقة بالغة وهي تعد الليمونادة]*: هل دفعوا لك ثمناً جيداً؟

ليوناردو: معقول.

الزوجة: أحتاج إلى فستان جديد ويحتاج الطفل إلى طاقية بشرائط.

ليوناردو *[ينهض واقفا]*: سأذهب لألقي عليه نظرة.

الزوجة: إحذر. إنه نائم.

الحماة *[تدخل]*: حسناً! مَنْ كان يجري بالحصان على ذلك النحو؟ إنه هناك في الأسفل، منهك القوى، وعيناه تجحظان من محجريهما كأنه أقبل من نهايات العالم.

ليوناردو *[بحدّة]*: أنا.

الحماة: أوه، أعذرني! إنه حصانك.

الزوجة *[بحياء]*: كان عند مشتري القمح.

الحماة: من جانبي أنا، فلينفجر!

[تجلس. صمت]

الزوجة: شرابك. هل هو بارد؟

ليوناردو: نعم.

الزوجة: هل سمعتَ بأنهم سيطلبون يد ابنة عمي؟
ليوناردو: متى؟
الزوجة: غداً. سيكون الزفاف خلال شهر. آمل أن يدعونا.
ليوناردو *[بجد]*: لا أعرف.
الحماة: أمه، أظن أنها لم تكن سعيدة جداً بهذا الزواج.
ليوناردو: حسناً، لعلها على حق. إنها فتاة يجب الحذر منها.
الزوجة: لا أحب أن تظن سوءاً بفتاة جيدة.
الحماة *[بلهجة ذات معنى]*: إذا هو ظن سوءاً فلأنه يعرفها. ألم تعرفي بأنه ظلّ يغازلها مدة ثلاث سنوات؟
ليوناردو: لكنني تركتها.

[إلى زوجته]

هل ستبدئين في البكاء الآن؟ كفي عن هذا!

[بخشونة يبعد يديها عن وجهها]

لنذهب لنرَ الطفل.

[يخرجان وذراع كل منهما حول الآخر. تظهر فتاة. هي سعيدة. تدخل ركضاً]

الفتاة: سنيورا.
الحماة: مَاذا؟
الفتاة: أتى العريس إلى الدكان واشترى أحسن بضاعة من كل ما لديهم.
الحماة: هل كان وحيداً؟
الفتاة: لا. مع أمه. عابسة، طويلة.

[تقلّدها]

ويا للتبذير!

الحماة: لديهم مال.

الفتاة: واشتريا بعض الجوارب المشغولة! أوه، أية جوارب! حلم امرأة من الجوارب! أنظري: سنونـــو هنا،

[تشـير إلى كاحلها]

وسفينة هنا،

[تشير إلى بطة ساقها]

وهنا،

[تشير إلى فخذها]

وردة.

الحماة: طفلة!

الفتاة: وردة مع البذور والساق! أوه! كلها من الحرير.

الحماة: عائلتان غنيتان اجتمعتا معاً.

[يظهر ليوناردو وزوجته]

الفتاة: أتيت لأخبركم بما يشتريان.

ليوناردو *[بصوت عال]*: نحن لا نهتم.

الزوجة: دعها وشأنها.

الحماة: ليوناردو، إنها ليست بتلك الأهمية.

الفتاة: رجاءً، اعذروني.

[تغادر باكية]

الحماة: لماذا تثير المتاعب مع الناس دائمـاً؟

ليوناردو: أنا لم أسألك رأيك.

[يجلس]

الحماة: حسناً جداً.

[صمت]

الزوجة *[إلى ليوناردو]*: ما بكَ؟ أيه فكرة تغلي في داخل رأسك؟ لا تتركني هكذا، دون أن أعرف أي شيء.

ليوناردو: كفي عن هذا.

الزوجة: لا. أريد منك أن تنظر إليّ وتخبرني.

ليوناردو: دعيني وشأني.

[ينهض واقفاً].

الزوجة: إلى أين أنت ذاهب يا حبي؟

ليوناردو *[بحدة]*: ألا يمكنك أن تخرسي؟

الحماة *[بحيوية إلى الزوجة]*: اَهدأي!

[يخرج ليوناردو]

الطفل!

[تدخل غرفة النوم ثم تخرج ثانية والطفل بين ذراعيها. تظل الزوجة واقفة بلا حراك]

الحماة: حوافره المسكينة تنزف،
عُرفه الطويل تجمّد،
وعميقاً في عينيه
انغرز خنجر فضي.
إلى الأسفل هبط نحو النهر

أوه، إلى الأسفل هبط إلى الأسفل!
ودمه يجري،
أوه، أغزر من الماء.

الزوجة *[تدور ببطء، كأنها تحلم]* :

يا قرنفلة، نم واحلم،
الحصان يشرب من الجدول.
الحماة: يا وردتي، أرقد الآن ونم
الحصان يشرع في البكاء.

الزوجة: نم يا طفلي.

الحماة: آي ـ ي ـ ي ! على الحصان الكبير
الذي لم يحب الماء!

الزوجة *[دراماً]*:

لا تقترب، لا تدخل!
إذهب إلى الجبال!
آي ـ ي ـ ي، على حصان الفجر
الكبير الملفوف بالثلج!

الحماة *[تبكي]*:

طفلي نائم...

الزوجة *[تبكي وهي تقترب ببطء أكثر فأكثر]*:

طفلي مستريح.

الحماة: يا قرنفلة، نم واحلم،
الحصان لن يشرب من الجدول.

الزوجة *[تبكي، وهي تتكىء على الطاولة]* :
يا وردتي، أرقد الآن ونم
الحصان يشرع في البكاء.

ستار

مشهد ٣

داخل الكهف حيث تعيش العروس. في الخلف صليب من أزهار وردية اللون كبيرة. على الأبواب المدورة ستائر مخرمة بأربطة وردية اللون. حول الجدران، المصنوعة من مادة بيضاء صلبة، مراوح مدوّرة وجرار زرقاء ومرايا صغيرة.

الخادم: تفضلوا أدخلوا...

[الخادم دمثة جداً، مليئة بنفاق متواضع. يدخل العريس وأمه. الأم تلبس فستاناً من الساتان الأسود وتضع على رأسها طرحة مخرمة؛ يلبس العريس بدلة كوردروي سوداء مع سلسلة ذهبية كبيرة]

ألـن تجلسا؟ سيأتيـان حالاً.

[تغادر. تترك الأم والعريس وهما جالسان بلا حراك كتمثالين. فترة صمت طويلة]

الأم: هل وضعت الساعة؟

العريس: نعم.

[يخرجها وينظر إليها]

الأم: علينا أن نعود في الوقت المحدد. يا للمسافة البعيدة التي يعيش فيها هؤلاء الناس!

العريس: لكن هذه أرض جيدة.

الأم: جيدة؛ لكنها موحشة جداً. رحلة أربع ساعات دون بيت واحد، دون شجرة واحدة.

العريس: هذه هي الأرض اليباب.

الأم: لكان أبوك غطاها بالأشجار.

العريس: من غير ماء؟

الأم: لكان وجد بعضاً منه. في السنوات الثلاث من زواجنا، زرع عشر شجرات كرز،

[تتذكر]

وشجرات الجوز الثلاث تلك عند الطاحونة، وكرماً كاملاً، وشجرة تسمى جيوبتر لها أزهار قرمزية ـ لكنها جفّت تماماً.

[صمت]

العريس *[مشيراً إلى العروس]*: لابد أنها تلبس.

[يدخل أبو العروس. إنه عجوز هرم، بشعر أبيض ناصع البياض. رأسه منكس. الأم والعريس يقفان. يتصافحون في صمت]

الأب: هل كانت رحلة طويلة؟

الأم: أربع ساعات.

[تجلس هي وابنها]

الأب: لا بد أنكما أتيتما من الطريق الطويل.

الأم: أنا أكبر سناً من أن آتي عن طريق الجروف الصخرية قرب النهر.

العريس: تصاب بالدوار.

[صمت]

الأب: محصول قنّب جيد.

الأم: محصول طيّب حقاً.

الأب: حين كنت شاباً، لم تُنبت هذه الأرض حتى القنّب. كان علينا أن نعاقبها، حتى وأن نبكي عليها، حتى تعطينا أي شيء نافع.

الأم: لكنهـا تُنبت الآن. لا تـشكو. لـم آتِ إلى هنا لأطـلب منك أي شيء.

الأب *[يبتسم]*: أنت أغنى مني. وكرومك تساوي ثروة. كل كرمة صغيرة عملة فضَة. لكن ـ هل تعرفين؟ ـ ما يزعجني هو أن أراضينا منفصلة. أنا أحب أن أجمع كل شيء معاً. في قلبي شوكة، إنها ذلك البستان الصغير هناك، محشور بين الحقول ـ ولن يبيعوه لي بكل ذهب العالم.

العريس: ذلك ما يحدث دائماً.

الأب: لو استطعنا أخذ عشرين زوج ثيران ليجروا كرومكما إلى هنا، ويضعوها عند هذا السفح، كم سأكون سعيداً!

الأم: لكن لماذا؟

الأب: ما أملكه هو لها وما تملكينه هو له. ذلك هو السبب. لمجرد أن نراها كلها معاً. كم هو جميلٌ جمع الأشياء معاً!

العريس: وسيقلّ العمل.

الأم: حين أموت، بيعوا أرضي واشتروا أرضاً هنا، جنباً إلى جنب تماماً.

الأب: بيعوا، بيعوا؟ باه! اشتروا يا صديقتي، اشتروا كل شيء. لو كان لي أولاد لكنت اشتريت سفح الجبل هذا كله حتى ذلك الجزء مع الجدول في الأعلى تماماً. إنها ليست أرضاً جيدة، لكن السواعد القوية تخلق منها أرضاً جيدة، ولأن لا أحد يمر من هنا، لن يسرقوا ثمارك وتستطيعين أن تنامي قريرة العين.

[صمت]

الأم: أنت تعرف لماذا أنا هنا.

الأب: نعم.

الأم: إذن؟

الأب: يبدو لي أن كل شيء على ما يرام. لقد تكلموا عن الموضوع.

الأم: لدى ابني مال ويعرف كيف يشغّله.

الأب: وابنتي أيضاً.

الأم: ابني وسيم. وهو لم يعرف أية امرأة أبداً. واسمه أنظف من ملاءة فُردت في الشمس.

الأب: لا داعي لأن أخبرك عن ابنتي. في الثالثة، حين تلمع نجمة الصباح، تعدّ الخبز. إنها لا تتكلم أبداً: ناعمة كالصوف وتطرز كل أنواع الشغل الجميل وتستطيع أن تقطع حبلاً قوياً بأسنانها.

الأم: ليبارك الله بيتها!

الأب: ليباركه الله!

[تظهر الخادم وهي تحمل صينيتين، واحدة عليها شراب والأخرى عليها حلوى]

الأم *[إلى ابنها]*: متى تريد الزفاف؟

العريس: الخميس القادم.

الأب: اليوم الذي تصبح فيه في الثانية والعشرين بالضبط.

الأم: الثانية والعشرون! ابني الأكبر كان سيبلغ هذا العمر لو ظل على قيد الحياة. دافئاً وفحلاً كما كان، لكان على قيد الحياة لو

لم يخترع الناس السكاكين.

الأب: يجب ألا يفكر الإنسان في هذا.

الأم: في كل دقيقة. يد على صدرك دائماً.

الأب: الخميس إذن؟ هل هذا مناسب؟

العريس: هذا مناسب.

الأب: سنذهب أنا وأنت والعروسان في عربة إلى الكنيسة، البعيدة جداً من هنا؛ المحتفلون في عربات وعلى خيول سيجلبونها معهم.

الأم: موافقة.

[تمر الخادم بينهما]

الأب: أخبريها بأنها تستطيع الدخول الآن.

[إلى الأم]

سأسرّ كثيراً لو أحببتها.

[تظهر العروس. يداها تتدليان في هيئة تواضع ورأسها منكس]

الأم: اقتربي. هل أنت سعيدة؟

العروس: نعم يا سنيوراَ.

الأب: لا تكوني خَجولة إلى هذا الحد. بعد كل هذا، ستصبح أمك.

العروس: أنا سعيدة. قلت "نعم" لأنني أريد أن أقولها.

الأم: طبعاً.

[تمسك بذقن العروس]

أنظري إليّ.

الأب: إنها تشبه زوجتي في كل شيء.

الأم: نعم؟ ما أجمل منظرها! هل تعرفين ما معنى أن تكوني متزوجة يا طفلة؟

العروس *[بجد]*: أعرف.

الأم: رجل، بعض أطفال، وحائط بعرض ذراعين لكل شيء آخر.

العريس: هل من حاجة إلى أي شيء آخر؟

الأم: لا. مجرد أن تعيشا ـ تلك هي الحال! عيشا طويلاً!

العروس: سأعرف كيف أحافظ على كلمتي.

الأم: هاك بعض الهدايا لك.

العروس: شَكراً لك.

الأب: هل نشرب شيئاً؟

الأم: لا شيء لي.

[إلى ابنها]

لكن، أنت؟

العريس: نعم، شكراً لك.

[يأخذ قطعة حلوى، تأخذ العروس قطعة أخرى]

الأب *[إلى العريس]*: نبيذ؟

الأم: إنه لا يلمسه.

الأب: هذا أحسن.

[صمت. يقفون كلهم]

العريس *[إلى العروس]*: سآتي غداً.

العروس: في أية ساعة؟

العريس: الخامسة.

العروس: سأكون في انتظارك.

العريس: حين أبتعد عنك أشعر بفراغ كبير، وشيء كغُصّة في حلقي.

العروس: حين تصبح زوجي لن تعود تحسّ بها.

العريس: ذلك ما أخبر نفسي به.

الأم: هيا. الشمس لا تنتظر.

[إلى الأب]

هل اتفقنا على كل شيء؟

الأب: اتفقنا.

الأم *[إلى الخادم]*: مع السلامة يا امرأة.

الخادم: ليكن الله معكما!

[الأم تقبّل العروس ويشرعان في الخروج في صمت]

الأم *[عند الباب]*: مع السلامة يا ابنتي.

[تجيب العروس بيدها]

الأب: سأخرج معكما.

[يخرجون]

الخادم: أنا أنفجر لهفة لرؤية الهدايا.

العروس *[بحدة]*: كفي عن هذا.

الخادم: أوه يا طفلتي، أرينيها.

العروس: لا أريد.

الخادم: على الأقل، الجوارب. يقولون إنها كلها مشغولة بالإبرة. رجاءً!

العروس: قلتُ لا.

الخادم: حسناً، يا إلهي. حسناً إذن. يبدو كأنك لا تريدين أن تتزوجي.

العروس *[تعض يدها في غضب]* آي - ي - ي!

الخادم: يا طفلتي، يا طفلتي! ما بك؟ هل أنت آسفة على تخليك عن حياتك، حياة ملكة؟ لا تفكري بأشياء مريرة. هل لديك أي سبب لهذا؟ لا شيء. لننظر إلى الهدايا.

[تمسك بالصندوق]

العروس *[تمسك بها من معصميها]*: أتركي هذا.

الخادم: آي - ي - ي، يا فتاة!

العروس: أتركيه، قلت.

الخادم: أنت أقوى من رجل.

العروس: ألم أقم بعمل رجل؟ ليتني كنت رجلاً.

الخادم: لا تتكلمي هكذا.

العروس: اهدأي، قلت. لنتكلم عن شيء آخر.

[النور يبهت على المسرح. فترة صمت طويلة]

الخادم: هل سمعت حصاناً الليلة الماضية؟

العروس: في أية ساعَة؟

الخادم: الثالثة.

العروس: قد يكون حصاناً شارداً - من القطيع.

الخادم: لا . كان يحمل راكباً.

العروس: كيف عرفت؟

الخادم: لأنني رأيته. كَان واقفاً عند نافذتك. صدمني كثيراً.

العروس: ربما كان خطيبي. أحياناً يأتي في ذلك الوقت.

الخادم: لا .

العروس: رأيته؟

الخادم: نعمَ.

العروس: مَنْ كان؟

الخادم: كان ليوناردو.

العروس *[بقوة]*: كاذبة! أنت كاذبة! لماذا يأتي إلى هنا؟

الخادم: أتى.

العروس: إخرسي! أغلقي فمك الملعون.

[يسمع صوت حصان]

الخادم *[عند النافذة]*: أنظري. أطلي إلى الخارج. هل هو ليوناردو؟

العروس: هو.

ستار سريع

الفصل الثاني

مشهد ١

ردهة مدخل بيت العروس. باب كبير في الخلف. الوقت ليل.
[تدخل العروس بقميص داخلي أبيض مكشكش مليء بمخرّمات وشرائط مطرزة، وصدار أبيض بلا أكمام. الخادم تلبس على نفس النحو]

الخادم: سأكمل مشط شعرك هنا.

العروس: الطقس أحرّ من أن نحتمل البقاء في الداخل.

الخادم: في هذه النواحي لا يلطف الجو حتى عند الفجر.

[تجلس العروس على كرسي واطىء وتنظر في مرآة يد صغيرة. الخادم تمشط شعرها]

العروس: أمي أتت من مكان فيه أشجار كثيرة ـ من أرض خصبة.

الخادم: وكانت سعيدة جداً!

العروس: لكنها ضيّعت صحتها هنا.

الخادم: قدر.

العروس: كما نضيّع كلنا صحتنا هنا. الجدران نفسها تنفث حرارة. آي ـ ي ـ ي! لا تشدي بقسوة إلى هذا الحد.

الخادم: أنا أحاول فقط أن أثبت هذه الخصلة على نحو أفضل. أريدها أن تسقط على جبهتك.

[تنظر العروس إلى نفسها في المرآة]

ما أجملك! آي ـ ي ـ ي!

[تقبّلها بحرارة]

العروس *[بجد]*: استمري في المشط.

الخادم *[تمشط]*: أوه، محظوظة أنتِ ـ تضعين ذراعيك حول رجل؛ وتقبلينه؛ وتحسين بثقله.

العروس: هس.

الخادم: وأجمل ما في الأمر سيكون حين تصحين وتحسين به إلى جنبك وحين يداعب كتفيك بنَفَسه، كريشة عندليب!

العروس *[بحدة]* : هل ستهدئين.

الخادم: لكن يا طفلتي! ما هو الزواج؟ الزواج هو هذا ولا شيء آخر. هل هو الحلوى ـ أو باقات الزهور؟ لا. إنه فراش متألق ورجل وامرأة.

العروس: لكن يجب ألا تتكلمي عنه.

الخادم: أوه، ذلك شيء آخر ثانية. لكنه لهو كثير أيضاً.

العروس: أو مرارة كثيرة.

الخادم: سأضع لك زهر البرتقال من هنا الى هنا حتى يتألق الإكليل على قمة شعرك.

[تجرّب غُصينات زهر البرتقال]

العروس *[تنظر الى نفسها في المرآة]*: أعطنيه.

[تأخذ الأكليل، تنظر إليه، وتحني رأسها مثبطة الهمة]

الخادم: والآن، ما بك؟

العروس: اتركيني.

الخادم: هذا ليس الوقت المناسب لك لتحزني.

[مشجّعة]

أعطيني الإكليل.

[تأخذ العروس الإكليل وترمي به بعيداً]

طفلتي! أنت تطلبين من الله أن يعاقبك برميك الإكليل على الأرض هكذا. ارفعي رأسك! ألا تريدين الزواج؟ قولي هذا. لازلت تستطيعين الانسحاب.

[تنهَض العروس]

العروس: سحب عاصفة. ريح باردة تقطع متخللة قلبي. مَنْ لم يحس بهذا؟

الخادم: أنت تحبين خطيبك، أليس كذلك؟

العروس: أنا أحبه.

الخادم: نعم، نعم. أنا واثقة من أنك تحبينه.

العروس: لكن هذه خطوة خطيرة جداً.

الخادم: لابد أن تخطيها.

العروس: سبق وأعطيت كلمتي.

الخادم: سأضع الإكليل.

العروس *[تجلس]*: أسرعي. لابد أن يصلوا الآن.

الخادم: أمضوا ساعتين على الأقل في الطريق.

العروس: كم المسافة من هنا إلى الكنيسة؟

الخادم: خمسة فراسخ عن طريق الجدول، لكنها ضعف هذا عن الطريق العام.

[تنهض العروس وتتحمس الخادم وهي تنظر إليها]

إصحي يا عروس اصحي،
في صباح زفافك اصحي!
لتحمل أنهار الدنيا كلها
تاج عرسك!

العروس *[تبتسم]*: هيا الآن.

الخادم *[تقبّلها في حماس وترقص حولها]*:

إصحي
مع باقة نضرة
من غار مزهر.
إصحي،
بجذع وغصن
الغار!

[يُسمع طرق على الباب الأمامي]

العروس: إفتحي الباب! لابد أنهم أول الضيوف.

[تخرج العروس. تفتح الخادم الباب]

الخادم *[مندهشة]*: أنت؟

ليوناردو: نعم، أنا. صباح الخير

الخادم: الأول؟

ليوناردو: ألم أُدعَ؟

الخادم: نعم.

ليوناردو: لذلك السبب أنا هنا.

الخادم: أين زوجتك؟

ليوناردو: أتيت على حصاني. هي قادمة على الطريق العام.

الخادم: ألم تقابل أحداً؟

ليوناردو: مررت بهم وأنا على حصاني.

الخادم: ستقتل ذلك الحصان بهذا الجري السريع جداً.

ليوناردو: حين يموت، يموت.

[صمت]

الخادم: إجلس. لم ينهض أحد بعد.

ليوناردو: أين العروس؟

الخادم: أنا في طريقي الى إلباسها فوراً.

ليوناردو: العروس! لابد أنها سعيدة!

الخادم *[تغيّر الموضوع]*: كيف حال الطفل؟

ليوناردو: أي طفل؟

الخادم: ابنك.

ليوناردو *[يتذكر، كأنه في حلم]*: آه!

الخادم: هل سيأتون به؟

ليوناردو: لا.

[صمت. تُسمع أصوات تغني من بعيد]:

أصوات: إصحي يا عروس اصحي
في صباح زفافك اصحي!

ليوناردو: إصحي يا عروس اصحي
في صباح زفافك اصحي!

الخادم: إنهم الضيوف. لا زالوا بعيدين تماماً.

ليوناردو: ستضع العروس إكليلاً كبيراً، أليس كذلك؟ لكن، يجب ألا يكون كبيراً جداً. إكليل أصغر قليلاً سيبدو عليها أجمل. هل أحضر العريس لها زهر البرتقال الذي تضعه العروس على صدرها؟

العروس *[تظهر، لازالت تلبس القميص الداخلي والإكليل]*: أحضَرَه.

الخادم *[بحدة]*: لا تخرجي هكذا.

العروس: ماذا يهم؟

[بجد]

لماذا تسأل عما إذا أحضروا زهر البرتقال؟ هل يدور في عقلك شيء؟

ليوناردو: لا شيء. ماذا يمكن أن يدور في عقلي؟

[يقترب منها أكثر فأكثر]

أنت، أنت تعرفينني؛ تعرفين أن ليس في عقلي أي شيء. قولي لي: ماذَا عنيتُ لك في يوم من الأيام؟ افتحي ذاكرتك، أنعشيها. لكن ثورين وكوَخ صغير قبيح لا شيء تقريباً. ذلك هو الشوك.

العروس: ماذا جئتَ تفعل هنا؟

ليوناردو: لأشاهد زفافك.

العروس: تماماً كما شاهدتُ أنا زفافك!

ليوناردو: مربوط بك، عملته بيديك. أوه، يمكنهم أن يقتلوني، لكنهم لا يمكنهم أن يبصقوا عليّ. لكن، حتى المال، الذي يلمع كثيراً جداً، يبصق أحياناً.

العروس: كذّاب!

ليـوناردو: لا أريد أن أتكلم. أنا رجل حـار الـدمـاء ولا أريد أن أصرخ فتسمعني هذه التلال كلها.

العروس: صرخاتي أنا ستكون أعلى.

الخادم: عليكما أن تكفا عن الكلام هكذا.

[إلى العروس]

يجب ألا تتكلمي عما هو ماض.

[تلتفت الخادم حولها بانزعاج وتنظر إلى الأبواب]

العروس: إنها على حق. يجب ألا أتكلم إليك. لكن ما يضايقني حتى روحي أنكَ أتيت إلى هنا لتراقبني، وتتجسس على زفافي، وتسأل عن زهر البـرتقـال وشيء يدور في عـقلك. إذهب وانتظر زوجتك عند الباب.

ليوناردو: لكن، ألا نستطيع أنت وأنا حتى أن نتكلم؟

الخادم *[بغضب]*: لا. لا، لا تستطيع أن تتكلم.

ليوناردو: منذ أن تزوجتُ وأنا أفكر ليل نهار: غلطة مَن كـانت، وكل مرة أفكر فيها، تبرز غلطة جديدة تأكل القديمة؛ لكن، تظل توجد غلطة دائماً.

العروس: يعرف رجل معه حصان أشياء كثيرة ويستطيع أن يفعل كثيراً ليرهق فتاة معزولة في الصحراء. لكن لي كبريائي. لذلك السبب سأتزوج. سأغلق بيتي على نفسي وزوجي، ومن ثم سأحبه أكثر من أي شخص آخر.

ليوناردو: الكبرياء لن تساعدك ولو قليلاً.

[يقترب أكثر منها]

العروس: لا تقترب مني!

ليوناردو: أن نحترق بالرغبة ونظل هادئين حيالها، هذا هو العقاب الصارم نوقعه على أنفسنا. ما نفع الكبرياء لي ـ ولا أراك، وأتركك ترقدين صاحية ليلة بعد ليلة؟ لا فائدة! كل ما فعلته هو أنها جلبت النار إلي! أنت تظنين أن الزمن يداوي الجروح وأن الجدران تداري الهموم، لكنَ هذا غير صحيح، غير صحيح! حين تغرق الهموم الى هذا العمق داخلك، لن يستطيع أي إنسان أن يغيرها.

العروس *[مرتعدة]*: لا أستطيع أن أصغي إليك. لا أستطيع أن أصغي الى صوتك. كأنني شربت قنينة آنيس واستغرقت في النوم ملفوفة بغطاء ورود. إن هذا يجرني الى الأمام، وأنا أعرف أنني أغرق ـ لكنني أستمر بالهبوط.

الخادم *[تمسك بـ ليوناردو من تلابيبه]*: عليك أن تذهب الآن حالاً.

ليوناردو: هذه آخر مرة سأكلمها فيها. لا تخافي من أي شيء.

العروس: وأنا أعرف أنني مجنونة وأعرف أن صدري يتعفن بالشوق؛ لكن، ها أنا هنا ـ هادئة وأنا أسمعه، وأنا أراه يحرك ذراعيه.

ليوناردو: ما كنت لأهدأ أبداً لو لم أقل لك هذه الكلمات. لقد تزوجت أنا. وأنت تتزوجين الآن.

الخادم: لكنها سَتتزوج!

[تسمع أصوات تغني، من مسافة أقرب]

إصحي يا عروس اصحي
في صباح زفافك اصحي

العروس: إصحِي يا عروس اصحي.

[تخرج، راكضة نحو غرفتها]

الخادم: الناس هنا الآن .

[إلى ليوناردو]

لا تقترب منها مرة أخرى.

ليوناردو: لا تقلقي.

[يخرج من اليسار. يبدأ النهار بالطلوع]

فتاة ١ *[تدخل]*:

إصحي يا عروس اصحي
في صباح زواجك؛
غني وارقصي حول المدعوين؛
الشرفات لابد أن تحمل إكليلاً.

أصوات: يا عروس، اصحي!

الخادم *[تخلق حماساً]*؛

إصحي،
مع الباقة الخضراء
باقة الحب المزهر.
إصحي،
بجذعِ وغصنِ

أشجار الغار!

فتاة ٢ *[تدخل]*: إصحي،

بشعرها الطويل

وقميص نوم ثلجي،

وجزمة جلد لامع مع فضة ـ

وجبينها تاج ياسمين.

الخادم: أوه، يا راعية،

القمر يبدأ بالتألق!

فتاة ١: أوه، يا شهم،

أترك قبعتك تحت الكرمة!

فتى ١ *[يدخل رافعاً قبعته الى أعلى]*:

إصحي يا عروس،

ففي الحقول

يدنو الزفاف

مع صواني تكومت عليها الأضالية

وكعك تكوم عالياً.

أصوات: يا عروس، اصحي!

فتاة ٢: العروس

وضعتْ إكليلها الأبيض في مكانه

والعريس

يثبّته برباط ذهبي.

الخادم: قرب شجرة البرتقال،

ساهرة ستظل العروس.

فتاة٢ *[تدخل]*:

قرب كرمة الليمون،
هدايا من العريس ستلمع.

[يدخل ثلاثة ضيوف]

فتى١: يا يمامة، إصحي!
في الفجر
أجراس ظلّيّة تهتز.

ضيف: العروس، العروس البيضاء
اليوم عذراء،
غداً زوجة.

فتاة١: يا سمراء، انزلي
جارة قطار ردائك الحريري.

ضيف: يا سمراء صغيرة، انزلي،
الصباح البارد يلبس تاجاً ندياً.

فتى١: إصحي يا زوجة اصحي،
زهر برتقال تهزه الأنسام.

الخادم: شجرة سأطرزها لها
مع أوشحة عقيق ملفوفة،
وعلى كل وشاح كيوبيد،
مع " حياة مديدة " حولها.

أصوات: يا عروس، اصحي.

فتى ١: صباح يوم تتزوجين!

ضيف: صباح يوم تتزوجين

كم ستبدين جميلة؛

زهرة جبل طاهرة

لحلم قبطان.

الأب *[يدخل]*: زوجة قبطان

سيتزوجها العريس.

يأتي بثيرانه لحمل الكنز!

فتاة ٣: العريس

كزهرة ذهب.

حين يمشي،

زهر عند قدميه يُنثَر.

الخادم: أوه، يا فتاتي المحظوظة!

فتى ٢: يا عروس، اصحي.

الخادم: أوه، يا فتاتي الرشيقة!

فتاة ١: من خلال النوافذ

اسمع صياح الزفاف.

فتاة ٢: لتخرج العروس.

فتاة ١: أخرجي، أخرجي!

الخادم: لترن الأجراس

ترن ترن بجلاء!

فتى ١: إلى هنا تأتي!

الآن تقترب!

الخادم: كثور الزفاف

يثور هنا!

[تظهر العروس. ترتدي فستان زفاف أسود من طراز ١٩٠٠ . مع أرداف صناعية وذيل طويل مغطى بشَشْ مكشكش وشرائط ومخرمات ثقيلة. على شعرها، الممشوط مموجاً على جبهتها، تضع أكليل زهر البرتقال. تعزف القيثارات. تقبل الفتيات العروس]

فتاة٣: أي عطر تضعين على شعرك؟

العروس *[تضحك]*: لا عطر اطلاقاً.

فتاة ٢ *[تنظر الى فستانها]*: هذا القماش هو ما لا تستطيعين الحصول عليه.

فتى١: ها هو العريس!

العريس: تحية!

فتاة١ *[تضع زهرة خلف أذنه]*: العريس

إنه كزهرة ذهب.

فتاة٢: نسائم هادئة

من عينيه تطل.

[العريس يذهب إلى العروس]

العروس: لماذا انتعلتَ هذا الحذاء؟

العريس: إنه أبهج من الحذاء الأسود.

زوجة ليوناردو *[تدخل وتقبل العروس]*: تحية!

[الكل يتكلمون بانفعال]

ليوناردو *[كمن يؤدي واجباً]*: صباح يوم تتزوجين،

نعطيك إكليلاً لتلبسيه.

زوجة ليوناردو: كي تصبح الحقول سعيدة
والندى يقطر من شعرك!

الأم *[إلى الأب]*: هل أولئك الناس هنا أيضاً؟

الأب: إنهم جزء من العائلة. واليوم يوم غفران!

الأم: سأحتمل هذا، لكنني لن أغفر.

العريس: مع إكليلك، إنه مما يشرح الصدر النظر إليك.

العروس: لنذهب إلى الكنيسة مسرعين.

العريس: هل أنت مستعجلة؟

العروس: نعم. أريد أن أكون زوجتك الآن تماماً حتى أختلي بك، فلا أسمع أي صوت إلا صوتك.

العريس: هذا ما أريده!

العروس: ولا أرى أي عينين إلا عينيك. وأريد أن تعانقني بقوة شديدة، إلى حد أن المرحومة أمي، لو نادتني، لما استطعت الابتعاد عنك.

العريس: ذراعاي قويتان. سأعانقك أربعين سنة بلا توقف.

العروس *[تأخذ ذراعيه بدرامية]*: إلى الأبد!

الأب: بسرعة الآن! على خيولكم وفي عرباتكم! الشمس طلعت.

الأم: أمضوا بحذر! ولنأمل ألا يقع أي خطأ.

[ينفتح الباب الكبير في الخلف]

الخادم *[تبكي]*: حين تنطلقين خارجة من بيتك،

أوه، يا عذراء بيضاء،
تذكري أنك تغادرين متألقة
بنور نجم.

فتاة ١: نطيفةَ جسد، نظيفة ثياب
من بيتها إلى الكنيسة تمضي.

[يشرعون في الخروج]

فتاة ٢ : الآن تغادرين بيتك
إلى الكنيسة!

الخادم: الريح تنثر أزهاراً
على الرمال.

فتاة ٣: آه، العذراء البيضاء!

الخادم: رياح سمراء هو شريط
طرحتها.

[يغادرون. تسمع قيثارات وصنوج ودفوف. يترك ليوناردو وزوجته وحدهما]

الزوجة: لنذهب.

ليوناردو: إلى أين؟

الزوجة: إلى الكنيسة. لكن ليس على حصانك. ستأتي معي.

ليوناردو: في العربة؟

الزوجة: هل هناك وسيلة غيرها؟

ليوناردو: لست الرجل الذي يذهب في عربة.

الزوجة: ولا أنا الزوجة التي تذهب إلى زفاف بلا زوجها. لم أعد أستطيع احتمال هذا.

ليوناردو: ولا أنا!

الزوجة: ولماذا تنظر إليّ بهذه الطريقة؟ وشوكة في كل عين؟

ليوناردو: لنذهب!

الزوجة: لا أعرف ما يجري. لكنني أفكر، وأنا لا أريد أن أفكر. شيء واحد أعرفه فعلاً. لقد ألقيتَ بي بعيداً. لكن لدي طفلاً. وآخر قادم. هكذا تمضي الحياة. كان مصير أمي نفس المصير. حسناً، لن أنتقل من هنا.

[أصوات في الخارج]

أصوات: وأنت تنطلقين خارجة من بيتك
وإلى الكنيسة تذهبين،
تذكري أن تغادري وأنت متألقة
بوهج نجم.

الزوجة *[تبكي]*: تذكري أن تغادري وأنت متألقة
بوهج نجم.

لقد غادرتُ بيتي هكذا أيضاً. كان يمكنهم أن يحشوا الريف كله في فمي. تلك كانت معنوياتي.

ليوناردو *[ينهض]*: لنذهب!

الزوجة: لكن، أنت معي!

ليوناردو: نعم. *[صمت]* لننطلق!

[يغادران]

أصوات: وأنت تنطلقين خارجة من بيتك
وإلى الكنيسة تذهبين،

تذكري أن تغادري وأنت متألقة
بوهج نجم.
ستاربطيء

مشهد ٢

خارج كهف العروس، بظلال بيضاء رمادية وزرقاء باهتة. أشجار صبّار كبيرة. ظلال لون داكن وفضي. مناظر هضاب داكنة الإضاءة، كل شيء قاس كمنظر في رسم خزف شعبي.

الخادم *[ترتب كؤوساً وصواني على طاولة]*:

تدور،
الساقية كانت تدور
والماء كان يتدفق،
فليلة الزفاف تحل.
لتفترق الأغصان
وليكسو القمر
حاجز شرفتها البيضاء.

[بصوت عالٍ]:

إفردوا مفارش الموائد!

[بصوت حزين]:

يغنيان
العروس والعريس كانا يغنيان
والماء كان يتدفق
فليلة زفافهما تحل.
أوه، قشرة صقيع، وميض! ـ
ولوز مرّ مليء بالعسل!

[بصوت عالٍ]

أعدوا النبيذ!

[بنغمة شعرية]

يا فتاة رشيقة،

يا أرشق مَنْ في الوجود

أنظري إلى الطريق الذي يتدفق فيه الماء،

فليلة زفافك تحلّ.

ضمي إليك تنورتك

تحت جناح عريسك

ولا تغادري بيتك أبداً،

فالزوج يمامة

وصدره جمرة

والحقول تترقب همسَ

دم مائج.

تدور

الساقية كانت تدور

والماء كان يتدفق

فليلة زفافك تحلّ.

أوه، يا ماء، تلألأ.

الأم *[تدخل]*: أخيراً!

الأب: هل نحن أول مَنْ وصل؟

الخادم: لا. وصل ليوناردو وزوجته قبل لحظة. قطعا الطريق

كشياطين. ووصلتْ زوجته إلى هنا وهي ميتة من الخوف. قطعا الرحلة كأنهما أتيا على ظهر حصان.

الأب: ذلك الرجل يبحث عن المتاعب. إنه ليس من دم طيب.

الأم: أي دم تتوقع أن يكون لديه! دم عائلته كلها. انحدر إليه من جد جده، الذي بدأ بالقتل، وسرى في عروق النسل الشرير كله، نسل رجال سكاكين وابتسامات زائفة.

الأب: لنترك الموضوع عند ذلك الحد!

الخادم: لكن، كيف يمكنها أن تترك الموضوع عند ذلك الحد؟

الأم: إن هذا يؤلمني حتى أطراف عروقي. على جبهاتهم كلهم أرى فقط اليد التي قتلت ما كان لي. هل تفهمني حقاً؟ ألا أبدو لك مجنونة؟ حسناً، إنه جنون عدم الصراخ لإخراج كل ما يحتاج صدري إلى إخراجه. دائماً توجد في صدري صرخة تقف على أطراف أصابعها وعليّ أن أقهرها وأحبسها تحت شالي. لكن الموتى حُملوا وعلى الإنسان أن يصمت. وعندئذ، يجد الناس الخطأ.

[تخلع شالها]

الأب: اليوم ليس يوماً تتذكرين فيه هذه الأمور .

الأم: حين يدور الكلام عنها، عليّ أن أتكلم. واليوم أكثر من أي يوم آخر. لأنني اليوم أترك وحيدة في بيتي.

الأب: لكن، مع توقع أن يحل معك شخص.

الأم: ذلك هو أملي: أحفاد.

[يجلسان]

الأب: أريد منهما إنجاب الكثير منهم. هذه الأرض في حاجة الى أيد غير مُستأجَرة. هناك معركة ستشن على الأعشاب والأشوّاك والصخور التي لا يدري أحد من أين تأتي. وتلكما اليدان لابد أن تكونا يدي صاحب الأرض، الذي يعاقب ويسيطر، الذي يجعل البذور تنمو. كثير من الأولاد، نحن بحاجة اليهم.

الأم: وبعض البنات! الرجال كالريح! إنهم مجبرون على حمل السلاح. البنات لا يخرجن الى الشارع أبداً.

الأب [*بسرور*]: أظن أنهما سيرزقان بأولاد وبنات.

الأم: سيغطيها ابني جيداً. هو من بذرة جيدة. كان من الممكن أن ينجب أبوه أولاداً كثيرين مني.

الأب: ما أريده هو أن يحدث كل هذا في يوم واحد. فينجبا على الفور ولدين أو ثلاثة أولاد.

الأم: لكن الأمر ليس كذلك. يستغرق هذا وقتاً طويلاً. لذلك السبب، من الرهيب جداً أن ترى دمك يراق على الأرض. نافورة تتدفق لدقيقة، لكنها تكلفنا سنين. حين وصلت الى ابني، كان قد سقط في وسط الشارع. بللت يديّ بدمه ولحستهما بلساني ـ لأنه كان دمي. أنت لا تعرف طبيعة هذا. في ضريح زجاج وتوباز وضعت التراب المخضّب بدمه.

الأب: الآن، عليك أن تأملي. ابنتي عريضة الردفين وابنك قوي.

الأم: لذلك السبب أنا آمل.

[ينهضان]

الأب: أعدي صواني القمح!

الخادم: كلها معدة.

زوجة ليوناردو *[تدخل]*: بالرفاه والبنين!

الأم: شكراً.

ليوناردو: هل سيقام احتفال؟

الأب: حفل صغير. الناس لا يستطيعون البقاء طويلاً.

الخادم: ها هم!

[يبدأ الضيوف يدخلون في جماعات مرحة. يدخل العريس والعروس متشابكي الذراعين. يغادر ليوناردو]

العريس: لم يحدث زفاف أبداً ضم هذا العدد الكبير من الناس.

العروس *[بنزق]*: أبداً.

الأب: كان رائعاً.

الأم: فروع عائلات بأسرها أتت.

العريس: ناس لم يخرجوا من بيوتهم أبداً.

الأم: أبوكَ بَذَر جيداً، وها أنتَ الآن تحصد ما بذره.

العريس: كان هناك أبناء عم لي لم أعد أعرفهم.

الأم: كل الناس من ساحل البحر.

العريس *[بسعادة]*: لقد أخافتهم الخيول.

[يتكلمون]

الأم *[إلى العروس]*: فيم تفكرين؟

العروس: لا أفكر في شيء.

الأم: بركاتك ثقيلة الوزن .

[تسمع قيثارات]

العروس: كالرصاص.

الأم *[عابسة]*: لكن، يجب ألا تكون ثقيلة إلى هذا الحد. سعيدة كاليمامة يجب أن تكوني .

العروس: هل ستبقين هنا الليلة؟

الأم: لا . بيتي خاو.

العروس: يحب أنْ تبقى!

الأب *[إلى الأم]*: أنظري إلى الرقص الذي يشكّلونه. رقصات من شاطىء البحر البعيد.

[يدخل ليوناردو ويجلس. زوجته تقف جامدة خلفه]

الأم: إنهم أبناء عم زوجي. صلبون كالحجارة عند الرقص .

الأب: يسعدني أن أشاهدهم. ياله من تغيير لهذا البيت!

[يغادر]

العريس *[إلى العروس]*: هل أعجبك زهر البرتقال؟

العروس *[تنظر إليه بثبات]*: نعم.

العريس: كلها من الشمع. ستدوم إلى الأبد. أحب أن تضعيها كلها على فستانك.

العروس: لا ضرورة لذلك.

[ينتقل ليوناردو إلى اليمين]

فتاة ١: لنذهب وننزع دبابيسك.

العروس *[إلى العريس]*: سأعود حالاً .

زوجة ليوناردو: أرجو أن تسعد مع ابنة عمي!

العريس: أنا متأكد من أنني سأسعد.

زوجة ليوناردو: أنتما الاثنان هنا معاً؛ لن تخرجا أبداً؛ وتبنيان بيتاً. أتمنى لو أمكنني أن أعيش بعيداً على هذا النحو أيضاً!

العريس: لماذا لا تشتريان أرضاً؟ الأرض في سفح الجبل رخيصة والأولاد ينشأون عليه على نحو أفضل.

زوجة ليوناردو: ليس لدينا أي مال. وحسب المعدل الذي تسير فيه أمورنا...!

العريس: زوجك عامل جيد.

زوجة ليوناردو: نعم، لكنه يحب أن يطير في أنحاء البلاد كثيراً جداً؛ من شيء الى آخر. إنه ليس رجلاً صبوراً.

الخادم: ألا تتناولي شيئاً؟ سألف لأمك بعض كعك نبيذ. إنها تحبه كثيراً جداً.

العريس: لفّي ثلاث دزينات لها.

زوجة ليوناردو: لا، لا، نصف دزينة كافية لها.

العريس: لكن اليوم يوم!

زوجة ليوناردو *[إلى الخادم]*: أين ليوناردو؟

العريس: لابد أنه مع الضيوف.

زوجة ليوناردو: سأذهب لأرى.

[تغادر]

الخادم *[تنظر الى الرقص]*: رقص جميل هناك!

العريس: ألا ترقصين؟

الخادم: لن يطلب أحد مني أن أرقص معه.

[تمر فتاتان خلف المسرح؛ خلال هذا المشهد كله يجب أن تظل الخلفية حيّة بالأشكال العابرة]

العريس *[بسعادة]*: إنهم لا يعرفون أي شيء أبداً. فتيات عجائز مليئات بالحياة مثلك يرقصن أفضل من الفتيات الشابات.

الخادم: حسناً! هل تجاملني يا فتى؟ أي عائلة هي عائلتك! رجال بين رجال! وأنا فتاة صغيرة، رأيت زفاف جدك. يا له من قوام! بدا كأن جبلاً يتزوج!

العريس: لستُ طويلاً قدر طوله.

الخادم: لكن، يوجد نفس التألق في عينيك. أين الفتاة؟

العريس: تنزع إكليلها.

الخادم: آه! أنظر. لفترة منتصف الليل، ولأنكما لن تناما، فقد أعددت لكما فخذاً من لحم خنزير وبضعة كؤوس كبيرة من النبيذ المعتق. على الرف الأسفل في خزانة الطعام. في حال ما إذا احتجتما اليها.

العريس *[مبتسما]*: لن آكل في منتصف الليل.

الخادم *[بخبث]*: إذا لم تأكل أنت، قد تأكل العروس.

[تخرج]

فتى ١ *[يدخل]*: لا بد أن تأتي وتشرب كأساً معنا!.

العريس: أنا في انتظار العروس.

فتى ٢: ستكون معك في الفجر!

فتى ١: أنسب وقت!

فتى ٢: دقيقة واحدة فقط.

العريس: لنذهب.

[يخرجون. تسمع ضجة كبيرة. تدخل العروس من الجانب المقابل تدخل فتاتان تعدوان نحوها]

فتاة ١: إلى مَنْ أعطيتِ الدبوس الأول؛ إليّ أو إلى هذه؟

العروس: لا أتذكر.

فتاة ١: إليّ، أعطيتنيه هنا.

فتاة ٢: إليّ، أمام المذبح.

العروس *[بقلق، بصراع داخلي كبير]*: أنا لا أعرف أي شيء عن هذا.

فتاة ١: فقط، أتمنى لو أنك...

العروس *[تقاطعها]*: وأنا لا أبالي. لدي الكثير مما أفكر فيه.

فتاة ٢: عفوك.

[ليوناردو يعبر مؤخرة المسرح]

العروس *[ترى ليوناردو]*: وهذا وقت مزعج.

فتاة ١: لن نعلم شيئاً عن ذلك!

العروس: ستعرفان عن هذا حين يحل وقتكما. هذه خطوة قاسية تخطوانها.

فتاة ١: هل ضايقتك أنت؟

العروس: لا. لا بد أن تعذَراني.

فتاة ٢: لماذا؟ لكن كلا الدبوسين صالحان للزواج، أليس كذلك؟

العروس: كلاهما.

فتاة ١: قد تتزوج الآن واحدة قبل الأخرى.

العروس: هل أنتما متلهفتان إلى هذا الحد؟

فتاة ٢ *[بخجل]*: نعم.

العروس: لماذا؟

فتاة ١: حسناً...

[تعانق الفتاة الثانية. تجري كلتاهما خارجتين. يدخل العريس بطيئاً جداً ويعانق العروس من الخلف]

العروس *[بخوف فجائي]*: أتركني!

العريس: هل أنت خائفة مني؟

العروس: آي ـ يَ ـ ي! هذا أنت؟

العريس: ومَنْ غيري سيكون؟

[صمت]

أبوك أو أنا.

العروس: ذلك صحيح!

العريس: طبعاً، كان أبوك سيضمك على نحو أرق مني.

العروس *[بغموض]*: طبعاً!

العريس *[يعانقها بقوة وبخشونة قليلة]*: لأنه عجوز.

العروس *[بجفاء]*: أتركني!

العريس: لماذا؟

[يتركها]

العروس: حسناً... الناس. يروننا.

[تعبر الخادم في الخلف ثانية دون أن تنظر إلى العروس والعريس]

العريس: ماذا في هذا؟ إنه زواج معلن الآن.

العروس: نعم، لكن اتركني... فيما بعد.

العريس: ماذا بك؟ تبدين خائفة!

العروس: أنا على ما يرام. لا تذهب.

[تدخل زوجة ليوناردو]

زوجة ليوناردو: لا أقصد التطفل...

العريس: ماذا تريدين؟

زوجة ليوناردو: هل مرّ زوجي من هنا؟

العريس: لا.

زوجة ليوناردو: لأنني لا أجده، وحصانه ليس في الاسطبل أيضاً.

العريس *[بسعادة]*: لابد أنه خرج يجري به.

[تخرج زوجة ليوناردو، قلقة. تدخل الخادم]

الخادم: ألستما فخورين وسعيدين بكل هذه التمنيات الطيبة الكثيرة؟

العريس: ليتها تنتهي. العروس متعبة قليلاً.

الخادم: تلك ليست طريقة للتصرف يا طفلتي.

العروس: كأنني ضربت على رأسي.

الخادم: عروس من هذه الجبال لابد أن تكون قوية.

[إلى العريس]

أنت الوحيد الذي يستطيع أن يشفيها، لأنها ملكك.

[تعدو خارجة].

العريس *[يضم العروس]*: لنذهب ونرقص قليلاً.

[يقبّلها]

العروس *[قلقة]*: لا. أريد أن أتمدد على سريري قليلاً.

العريس: سأرافقك.

العروس: لا! وكل هؤلاء الناس هنا؟ ماذا سيقولون؟ دعني أهدأ لحظة.

العريس: ما تقولينه! لكن لا تكوني كذلك الليلة.

العروس *[عند الباب]*: سأكون أحسن الليلة.

العريس: هذا ما أريده.

[تظهر الأم]

الأم: ابني!

العريس: أين كنت؟

الأم: هناك في الخارج ـ وسط كل هذه الضجة. هل أنت سعيد؟

العريس: نعم.

الأم: أين زوجتك؟

العريس: تستريح قليلاً. إنه يوم سيىء على العرائس.

الأم: يوم سيىء؟ اليوم الوحيد الجيد. بالنسبة إليّ، كان كبدء حياتي.

[تدخل الخادم وتتجه إلى غرفة العروس]

كحرث أرض جديدة؛ زرع أشجار جديدة.

العريس: هل ستغادرين؟

الأم: نعم، لابد أن أكون في بيتي.

العريس: وحدك؟

الأم: ليس وحدي. فرأسي حافل بأمور كثيرة: رجال، وقتال.

العريس: لكن القتال لم يعد قتالاً.

[تدخل الخادم مسرعة، ثم تختفي عند مؤخرة المسرح وهي تجري]

الأم: ما دمتَ حياً، فعليك أن تقاتل.

العريس: سأطيعك دائماً!

الأم: حاول أن تكون محباً لزوجتك، وإذا رأيتَ أنها تتصرف تصرفاً أحمق أو سيئاً، فداعبها بطريقة تؤلمها قليلاً: ضمّة قوية، عضّة، ثم قبلة رقيقة. ليس إلى حد يغضبها، بل إلى حد تشعر فيه بأنك الرجل، السيد، الذي يصدر الأوامر. تعلمت ذلك من أبيك. وحيث أن أباك ليس معك، فلا بد أن أكون الشخص الذي سيخبرك عن هذه الدفاعات القوية.

العريس: سأفعل دائماً ما تقولينه.

الأب *[يدخل]*: أين ابنتي؟

العريس: إنها في الداخل. *[يذهب الأب ليبحث عنها]*

فتاة ١ *[الى العريس]*: لتأت العروس والعريس! سنرقص رقصة.

فتى ١ *[إلى العريس]*: ستقوَد الرقص.

الأب *[يخرج]*: إنها ليست هناك.

العريس: لا؟

الأب: لا بد أنها تسلقت حاجز الشرفة.

العريس: سأذهب وأرى!

[يخرج. يسمع هرج ومرج انفعال وصوت قيثارات]

فتاة ١: لقد بدأوا الرقصة!

[تغادر]

العريس *[يدخل]*: هي ليست هناك!

الأم *[بقلق]*: أليست هي هناك؟

الأب: لكن، إلى أين يمكن أن تكون ذهبت.

الخادم *[تدخل]*: لكن، أين الفتاة، أين هي؟

الأم *[بجد]*: ذلك ما لا نعرفه.

[يخرج العريس، ويدخل ثلاثة ضيوف]

الأب *[دراماً]*: لكن، أليست هي في الرقص؟

الخادم: هي ليست في الرقص.

الأب *[بفزع]*: يوجد الكثير من الناس. إذهبي وانظري!

الخادم: سبق ونظرت.

الأب *[بمأساوية]*: إذن، أين هي؟

العريس *[يدخل]*: ليست في أي مكان. هي ليست في أي مكان.

الأم *[إلى الأب]*: ماذا يعني هذا؟ أين ابنتك؟

[تدخل زوجة ليوناردو]

زوجة ليوناردو: لقد هربا! هربا! هي وليوناردو. على الحصان. ذراع كل منهما حول الآخر، ركبا وانطلقا كنجم منطلق!

الأب: ذلك ليس صحيحاً! ليست ابنتي!

الأم: نعم، ابنتك. بذرة أم شريرة، وهو، هو أيضاً. لكنها الآن زوجة ابني.

العريس *[يدخل]*: لنجر وراءهما! مَن لديه حصان؟

الأم: مَنْ لديه حصاَن؟ الآن على الفور! مَنْ لديه حصان؟ سأعطيه كل ما أملكه ـ عينيّ ولساني وحتى...

صوت: ها هو حصان.

الأم *[إلى ابنها]*: إذهب! وراءهما!

[يغادر مع شابين]

لا. لا تذهب، هؤلاء الناس يقتلون بسرعة ومهارة... لكن نعم، إجر، وسأتبعك!

الأب: لَا يمكن أن تكون ابنتي. لعلها ألقَتْ بنفسها في البئر.

الأم: النساء العفيفات يلقين بأنفسهن في الماء؛ وليست تلك المرأة! لكنها الآن زوجة ابني. جماعتان. توجد جماعتان هنا.

[يدخل الجميع]

عائلتي هي عائلتكم. لينطلق الكل من هنا. أنفضوا الغبار عن أعقابكم! سنذهب لمساعدة ابني.

[ينقسم الناس الى جماعتين]

فلديه عائلته: أبناء عمه من البحر، وكل الذين أتوا من داخل البلاد. بعيداً عن هنا! على كل الطرق. ساعة الدم حلّتْ مرة أخرى. جماعتان! أنتَ مع جماعتك وأنا مع جماعتي. وراءهما! وراءهما!

ستار

الفصل الثالث

مشهد ١

غابة. الوقت ليل. جذوع أشجار ضخمة رطبة. جو مظلم. يسمع صوت آلتيّ كمان / ڤيولينا.

[يدخل ثلاثة حطّابين]

حطاب ١: هل وجدوهما؟

حطاب ٢: لا. لكنهم يبحثون عنهما في كل مكان.

حطاب ٣: سيعثرون عليهما.

حطاب ٢: هس ـ س ـ س!

حطاب ٣: ماذا؟

حطاب ٢: يبدو أنهم يقتربون من كل الطرق في آن واحد.

حطاب ١: حين يطلع القمر سيرونهما.

حطاب ٢: يجب أن يتركوهما يذهبان.

حطاب ١: العالم واسع. كل واحد يمكنه أن يعيش فيه.

حطاب ٣: لكنهم سيقتلونهما.

حطاب ٢: عليك أن تتبع هواك. لقد فعلا الصواب بهربهما.

حطاب ١: كانا يخدعان نفسيهمـــا، لكن أخيراً، كان الدم أقوى.

حطاب ٣: الدم!

حطاب ١: عليك أن تتبع درب دمك.

حطاب ٢: لكن الدم الذي يرى نور النهار شربته الأرض.

حطاب ١: ماذا في هذا؟ من الخير أن تموت ودمك يُستنزف من

أن تحيا ودمك يتعفن.

حطاب٣: هس!

حطاب١: ماذا؟ هل تسمع شيئاً؟

حطاب٢: أسمع الجداجد، الضفادع، كمين الليل.

حطاب١: لكن، ليس الحصان.

حطاب٢: لا.

حطاب١: الآن، لا بد أنه يطارحها الغرام.

حطاب٢: جسدها له؛ جسده لها.

حطاب٣: سيجدونهما وسيقتلونهما.

حطاب١: لكن، حتى يجدوهما، يكون دمهما قد اختلط. سيكونان كجرّتَيْن فارغتَيْن، كغديرين جافين.

حطاب٢: السماء ملبدة بالكثير من السحب ولن يكون من السهل على القمر أن يطلع.

حطاب٣: سيجدهما العريس بقمر أو بلا قمر. لقد رأيتُه ينطلق. كنجم غاضب. ووجهه بلون الرماد. بدا أنه قَدَر أهله كلهم.

حطاب١: أهله الموتى ملقون في وسط الشارع.

حطاب٢: هنا، أنت أصبت!

حطاب٣: تظن أنهما سيقدران على اختراق الدائرة؟

حطاب٢: إن هذا صعب. هناك سكاكين وبنادق في محيط عشرة فراسخ.

حطاب٣: إنه يركب حصاناً جيداً.

حطاب٢: لكنه يحمل امرأة.

حطاب ١: نحن قريبون الآن.

حطاب ٢: شجرة بأربعين فرعاً. سرعان ما سنقطعها .

حطاب ٣: القمر يطلع الآن. لنسرع.

[من اليسار، يلمع شيء ساطع]

حطاب ١: يا قمراً طالعاً!

قمراً بين الأوراق الكبيرة.

حطاب ٢: غط الدم بالياسمين!

حطاب ١: يا قمراً وحيداً!

قمراً بين الأوراق الكبيرة.

حطاب ٢: فضة على وجه العروس.

حطاب ٣: يا قمراً شريراً!

أترك لحبهما فرعاً في ظل.

حطاب ١: يا قمراً حزيناً!

أترك لحبهما فرعاً في ظل.

[يخرجون. يظهر القمر خلال سطوع لامع في اليسار.
القمر حطاب شاب أبيض الوجه.
ينتشر على المسرح إشعاع أزرق كثيف]

القمر: بجعة مدوّرة في النهر

وعين كاثدرائية،

فجر كاذب على أوراق شجر،

لن يهربا؛ هذه الأشياء أنا!

مَن ذا يختبىء؟ ومَن ذا ينتحب

بين أشواك الوادي؟
القمر شرّع سكيناً
مهجورة في الهواء،
هي تهديد رصاصي
تتلهف لتكون ألم دم.
أدخلوني! فأنا أهبط متجمداً
على الجدران والنوافذ!
إفتحوا السقوف، إفتحوا الصدور
حيث قد أدفىء نفسي!
أنا أحسّ بالبرد! ورمادي
من معادن هاجعة
تبحث عن قمة النار
على جبال وفي شوارع.
لكن الثلج يحملني
على ظهره المرقش
وبرك تبللني
في مائها، القاسي والبارد.
لكن، في هذه الليلة، سيجري
دم أحمر لوجنتيّ،
وللقصب المتجمع
عند قدمي الريح الواسعتين.
ليختفِ الظل والعريشة،

وحينئذ لن يستطيعا أن يهربا!
أوه، لأدخل في صدر
حيث قد أحس بالدفء!
قلب لي!
دافىء! سيتدفق
على جبال صدري؛
أدخلوني، أوه أدخلوني!

[إلى الأغصان]

لا أريد أي ظلال. فأشعتي
لا بد أن تصل إلى كل مكان،
حتى بين الجذوع المظلمة أريد
همسَ الأنوار المتوهجة،
حتى يتوفر في هذه الليلة
دم حلو لوجنتيّ،
وللقصب المتجمع
عند قدميّ الريح الواسعتَيْن.
مَنْ ذا يختفي؟ أَخرجا، أقول!
لا، لن يفرا!
سأضيء الحصان
بحمى ساطعة كالماس.

[يختفي بين الجذوع، ويعود المسرح الى إنارته المعتمة.
تخرج امرأة عجوز مغطاة تماماً بقطعة قماش رقيقة خضراء.

إنها حافية القدمَيْن. وجهها لا يكاد يرى بين الطيّات.
هذه الشخصية لا تظهر في شخصيات المسرحية]

المتسولة: هذا القمر يولي، في لحظة اقترابهما تماماً.

لن يمرا من هنا. همس النهر
وجذوع الأشجار الهامسة ستكتم
طيران صرخاتهما الممزقة.
لا بد أن تصل إلى هنا، وعاجلاً. لقد أنهكني التعب.
التوابيت معدّة، والأكفان البيضاء
تنتظر على أرضية غرفة النوم
لجسدين ثقيلين مقطوعيّ الحلقين.
لا يستيقظ أي طائر، وليطر النسيم،
مجمعاً أنينيهما في ردائه،
طر بهما إلى قمم أشجار سوداء
أوَ ادفنهما في طين لين.

[بنفاد صبر]

أوه، ذلك القمر! ذلك القمر!

[يظهر القمر. يعود النور الأزرق الشديد]

القمر: ها هم قادمون. جماعة واحدة منهم عبر الوهدة والجماعة الأخرى على طول النهر. سأنير جلاميد الصخور. ماذا تريدين؟

المتسولة: لا شيء!

القمر: الريح تهب عنيفة الآن، بحدَّين.

المتسولة: أنر الصُدار وافتح الأزرار؛ ستعرف السكاكين طريقها بعدئذ.

القمر: لكن، ليستغرق موتهما وقتاً طويلاً. حتى
يزلق الدم هسهسته الرقيقة بين أصابعي.
أنظري كيف أن ودياني الرمادية تستيقظ
توقاً لنافورة تدفقات مرتعشة!

المتسولة: لنمنعهما من السير إزاء الغدير. سكوتاً!

القمر: ها هما قادمان!

[يختفي القمر. يترك المسرح معتماً]

المتسولة: أسرع! فيض من نور! هل تسمعني؟ لا يمكنهما الفرار!

[يدخل العريس مع الفتى الأول. تجلس المتسولة وتتغطى بعباءتها]

العريس: هذا الطريق.

فتى ١: لن تجدهما.

العريس *[بغضب]*: نعم، سأجدهما.

فتى ١: أظن أنهما سلكا طريقاً آخر.

العريس: لا. منذ لحظة فقط أحسست بالهرولة.

فتى ١: قد يكون حصاناً آخر.

العريس *[بحدة]*: إصغ إليّ. يوجد حصان واحد فقط في العالم كله، وهذا الحصان هو الحصان نفسه. ألا تفهم ذلك؟ إذا كنت ستتبعني، اتبعني بلا كلام.

فتى ١: أريد فقط...

العريس: أسكت. أنا واثق من أنني سأقابلهما هناك. هل ترى هذه الذراع؟ حسناً، إنها ليست ذراعي. إنها ذراع أخي، وذراع أبي، وذراع كل الموتى في عائلتي. وفيها الكثير جداً من القوة حتى أنها تستطيع أن تقتلع هذه الشجرة من جذورها، إذا أرادت. لنمض، فأنا أحس بأسنان كل أهلي المطبقة فيّ إلى حد أنني لا أستطيع أن أتنفس بسهولة.

المتسولة *[تئن]*: آي ـ ي ـ ي!

فتى ١: هل سمعت ذلك؟

العريس: إمضِ أنت من ذلك الطريق ثم در راجعاً.

فتى ١: هذا صَيد.

العريس: صيد. أعظم صيد.

[يبتعد الفتى الأول. يسرع العريس فيتعثر بالمتسولة، الموت]

المتسولة: آي ـ ي ـ ي!

العريس: ماذا تريدين؟

المتسولة: أنا بردانة.

العريس: أي طريق تسلكين؟

المتسولة *[تئن دائما كمتسولة]*: هناك، بعيداً...

العريس: مَنْ أين أنت؟

المتسولة: من هناك، مَن بعيد جداً...

العريس: هل رأيت رجلاً وامرأة يفرّان على حصان؟

المتسولة *[تصحو]*: إنَتظر دقيقة...

[تنظر إليه]

شاب جميل.

[تنهض]

لكنك ستكون أجمل كثيراً وأنت نائم.

العريس: أخبريني؛ أجيبيني! هل رأيتهما؟

المتسولة: انتظر دقيقة... ما أعرض كتفيك! ما رأيك في أن تتمدد عليهما ولا تسير على نعلي قدميك اللذين هما صغيران جداً؟

العريس *[يهزها]* سألتك إنْ كنت رأيتهما؟ هل مرا من هنا؟

المتسولة *[بحماس]*: لا. لم يمراَ؛ لكنهما قادمان من التل. ألا تسمعهما؟

العريس: لا.

المتسولة: هل تعرف الطريق؟

العريس: سأذهب، مهما كان الطريق.

المتسولة: سأرافقك. فأنا أعرف هذه المنطقة.

العريس *[بنفاد صبر]*: حسناً، لنذهب! أي طريق؟

المتسولة *[دراميأ]*: هذا الطريق!

[يخرجان مسرعين. تُسمع من بعيد آلتا ڤيولينا،
تمثلان الغابة. يعود الحطابون. يحملون فؤوسهم على أكتافهم.
يسيرون ببطء بين جذوع الأشجار]

حطاب ١: يا موتاً طالعاً!

موتاً بين الأوراق الكبيرة.

حطاب ٢: لا تطلق فيض الدم!

حطاب ١: يا موتاً وحيداً!
موتاً بين الأوراق اليابسة
حطاب ٣: لا تنثر الأزهار على الزفاف!
حطاب ٢: يا موتاً حزيناً!
أترك لحبهما غصناً أخضر.
حطاب ١: يا موتاً شريراً!
أترك لحبهما غصناً أخضر!
[يخرجون وهم يتحدثون. يدخل ليوناردو والعروس]
ليوناردو: هس!
العروس: من هنا سأمضي وحدي.
إذهب أنت الآن! أريد منك أن تعود.
ليوناردو: هس، قلت!
العروس: بأسنانك، بيديك، بأية طريقة يمكنك،
خذ من رقبتي النظيفة،
معدن هذه السلسلة،
واتركني أعيش منسية
هناك في بيتي في الأرض.
وإذا لم ترد أن تقتلني
كما ستقتل أفعى رقيقة،
ضع في يديّ، يديّ عروس،
ماسورة بندقيتك.
أوه، أية حسرة، أية نار،

تندفع الى أعلى خلال رأسي!
وأية شظايا زجاج غرزت في لساني!
ليوناردو: لقد خطونا الخطوة الآن؛ هس!
لأنهم وراءنا تماماً،
ولابد أن آخذك معي.
العروس: إذن، سيكون هذا بالقوة!
ليوناردو: بالقوة؟ مَنْ كان أول
مَنْ نزل الدرج؟
العروس: أنا نزلتُه.
ليوناردو: ومَنْ وضع
لجاماً جديداً للحصان؟
العروس: أنا نفسي وضعته. هذا صحيح.
ليوناردو: ويدا مَن
وضعت في الركاب جزمتي؟
العروس: نفس اليدين، تلكما اللتان هما لك،
لكنهما تودان، حين ترياك،
أن تقطعا العروق الزرقاء
وتمزقا خيط أوردتك.
أنا أحبك! أنا أحبك! لكن اتركني!
فلو كنتُ قادرة على قتلك
للففتك في كفن
محفوفة أطرافه ببنفسج.

أوه، أية حسرة، أية نار
تندفع الى أعلى خلال رأسي!

ليونارد: أية شظايا غرزت في لساني!
لأنني أردتُ أن أنساك
وأقيم جدار حجر
بين بيتك وبيتي.
هذا صحيح. أنت تذكرين؟
وحين رأيتك من بعيد
ذررتُ في عينيّ تراباً.
لكنني كنت أمتطي حصاناً
والحصان مضى مباشرة إلى بابك.
ودبابيس زفافك الفضيّة
حوّلت دمي الأحمر إلى أسود.
وفيّ، كان حلمنا يخنق
لحمي بأعشابه المسمومة.
أوه، إنها ليست غلطتي -
الغلطة غلطة الأرض -
وهذا الشذا الذي تنفثينه
من صدرك وجدائلك.

العروس: أوه، كم أن هذا غير صحيح! فأنا لا أريد
منك سريراً ولا طعاماً،
مع هذا، لا تمضي دقيقة من كل نهار

إلاّ وأريد فيها أن أكون معك،
لأنك تجرني، فآتي،
ثم تطلب مني أن أعود
وأنا أتبعك،
كعُصافة ذراها النسيم.
لقد هجرتُ رجلاً طيباً شريفاً،
وأهله كلهم،
ووليمة الزفاف لم تنته بعد
وأنا ألبس إكليل عرسي.
لكنك أنت الذي سيُعاقب
وهذا ما لا أريد له أن يحدث.
أتركني وحدي الآن! أهرب أنت!
ليس هناك من سيحميك.

ليوناردو: طيور الصباح المبكر
تنادي من بين الأشجار.
الليل يلفظ أنفاسه
على حافات الحجر.
لنذهب إلى ركن خفي
حيث أحبك إلى الأبد،
فالناس بالنسبة لي لا يهمون،
ولا السم الذي يرموننا به.

[يحتضنها بقوة]

العروس: وسأنام عند قدميك،
لأسهر على أحلامك.
عارية، لأنظر إلى الحقول،
كأنني كلبة.
لأن ذلك هو ما أنا حقاً! أوه، أنا أنظر إليك
فيحرقني جمالك.
ليوناردو: النار تثير ناراً.
واللهب الدقيق نفسه
سيقتل رأسيّ قمحٍ معاً.
لنذهب!
العروس: إلى أين تأخذني؟
ليوناردو: إلى حيث لا يستطيعون أن يأتوا،
هؤلاء الرجال الذين يحيطون بنا.
حيث أستطيع أن أنظر إليك!
العروس *[بسخرية]*: إحملني معك من سوق إلى سوق؟
عارٌ أنا على النساء النظيفات،
حتى يراني الناس
وملاءات زفافي
في النسيم كأعلام.
ليوناردو: أنا أيضاً أود أن أتركك
لو فكرت كما يجب أن يفكر الرجال.
لكن، حيثما تمضين، أمضي أنا.

أنت مثلي. إخطي خطوة. حاولي.
فمسَامير ضوء القمر ربطت
خصري وسلاسلك.

[هذا المشهد كله عنيف، مليء بحسيّة عظيمة]

العروس: إصغ؟

ليوناردو: إنهم قادمون.

العروس: إجر!
لائقٌ أنَ أموت هنا،
وماء يغمر قدميّ،
وشوك على رأسي،
ولائقٌ أن تندب أوراق الشجر عليّ،
امرأة ضالة وعذراء.

ليوناردو: إهدأي. الآن هم يظهرون.

العروس: إنطلق الآن!

ليوناردو: هدوءاً. لا تدعيهم يسمعونا.

[تتردد العروس]

العروس: كلانا!

ليوناردو *[يعانقها]*: أي طريق تريدين!
إذا فرقوا بيننا، فسيتحقق هذا
لأنني مت.

العروس: وأنا مت أيضاً.

[يخرجان وكل منهما بين ذراعي الآخر. يظهر القمر بطيئاً جداً.

يشيع في المسرح ضوء أزرق قوي. يسمع صوت آلتيّ ڤيولينا.
فجأة، تسمع صرختان طويلتان ممزقتان للآذان،
ثم تتوقف آلتا الڤيولينا فجأة. عند الصرخة الثانية،
تظهر المتسولة وتقف وظهرها للجمهور. تفتح عباءتها
وتقف وسط المسرح كطائر كبير بجناحين هائلين.
يتوقف القمر. الستار يهبط في صمت مطبق]

ستار

مشهد ٢

المشهد الختامي

مسكن أبيض بأقواس وجدران سميكة. على اليمين واليسار دَرَج أبيض. في الخلف، قوس كبير وجدار من نفس اللون. الأرضيّة أيضاً لابد أن تكون بيضاء ناصعة. هذا المسكن البسيط لا بد أن يوحي بالشعور النُصبيّ لكنيسة. يجب ألا يوجد أي لون رمادي أو أي ظل، ولا حتى ما هو ضروري لمنظور البناية.
[فتاتان في ثياب زرقاء داكنة تفكّان كرة صوف أحمر]

فتاة ١: صوف، يا صوفاً أحمر،
ماذا ستصنع؟

فتاة ٢: أوه، ياسمين للثياب،
صوف رقيق كزجاج.
في الساعة الرابعة وُلد،
وفي الساعة العاشرة مات.
خيط من غَزْل هذا الصوف،
سلسلة حول قدميك
عقدة ستُحكم
الإكليل الأبيض المر.

فتاة صغيرة *[تغني]*: هل كنتم في حفلة الزفاف؟

فتاة ١: لا.

فتاة صغيرة: حسناً، ولا أنا!
ماذا يمكن أن يحدث
بين براعم الكروم؟

ماذا يمكن أن يكون حدث
تحت غصن الزيتون؟
ماذا حدث حقاً
حتى أن أحداً لم يعد؟
هل كنتن في حفلة الزفاف؟

فتاة ٢: أخبرناك مرة، لا.

فتاة صغيرة *[تغادر]*: حسناً، ولا أنا!

فتاة ٢: صوف، يا صوفاً أحمر!
ماذا ستغني؟

فتاة ١: جروحهما تحوّلت شمعية،
وآس بلسم للألم.
نائم في الصباح
وساهر في الليل.

فتاة صغيرة *[في فتحة الباب]*:
ثم، الخيط تعثر
على الحجارة الصوانية،
لكن الجبال، الجبال الزرقاء،
تركته يمر.
يجري، يجري، يجري،
وأخيراً يأتي،
ليغمد نصل سكين،
ليستعيد الخبز.

[تخرج]

فتاة ٢: صوف، يا صوفاً أحمر!

ماذا ستخبر؟

فتاة ١: الحب صامت،

قرمزيّ العريس،

على خط الشاطىء الساكن

رأيتهما طريحين.

[تتوقف وتنظر إلى كرة الصوف]

فتاة صغيرة *[تظهر في فتحة الباب]*:

يجري، يجري، يجري،

الخيط يجري إلى هنا.

كله مغطى بالصلصال

أحس بهما يقتربان.

جسدان يتمددان متصلبين

في أكفان عاجية!

[تظهر زوجة وحماة ليوناردو. إنهما تتعذبان]

فتاة ١: هل هم آتون الآن؟

الحماة *[بخشونة]*: لا نعرف.

فتاة ٢: ماذا يمكنك أن تخبرينا عن الزفاف؟

فتاة ١: نعم، أخبريني!

الحماة *[بجفاء]*: لا شيء.

زوجة ليوناردو: أريد أن أعود وأكتشف كل ما حدث.

الحماة *[بحدة]*: أنت، إلى بيتك عودي.
باسلة ووحيدة في بيتك.
لتشيخي وتبكي.
لكن خلف أبواب مغلقة.
أبداً مرة أخرى. غير ميّتة وغير حية.
سنمسمر نوافذنا
ولتسقط الأمطار والليالي
على الأعشاب المرة.

زوجة ليوناردو: ماذا عساه حدث؟

الحماة: لا يهم ما حدث.
ضعي نقاباً على وجهك.
أطفالك أطفالك،
ذلك كل شيء. على السرير
ضعي صليب رماد
حيث كانت وسادته.

[تخرجان]

المتسولة *[عند الباب]*: كسرة خبز يا صبايا .

فتاة صغيرة: إذهبي!

[تتجمع الفتيات معاً]

المتسولة: لماذا؟

الطفلة: لأنك تأنّين؛ اذهبي!

فتاة ١: يا طفلة!

المتسولة: كنتُ أستطيع أن أطلب عينيك! سحابة
طيور تتبعني. هل تريدين طائراً واحداً؟

الفتاة: أريد أن أذهب من هنا.

فتاة ٢ *[إلى المتسولة]*: لا تبالي بها.

فتاة ١: هل أتيت من طريق عبر الغدير؟

المتسولة: أتيت من ذلك الطريق!

فتاة ١ *[بحياء]*: هل أطلب منك شيئاً؟

المتسولة: رأيتهما، سرعان ما سَيحلان هنا: تياران
هدآ أخيراً بين جلاميد الحجارة الهائلة،
رجلان عند حوافر حصان.
رجلان ميتان في روعة الليل.

[بسرور]

ميتان، نعم ميتان!

فتاة ١: هس يا عجوز، هس!

المتسولة: أزهار مسحوقة لعينيها، وأسنانها
ملء قبضتَين من ثلج مجمّد.
سقطا كلاهما، والعروس تعود
ببقع دم على تنورتها وشعرها.
ويعودان مغطيين بكفنَين
محمولين على أكتاف فتيان طوال.
كذلك حدث ما حدث؛ بلا زيادة. ما كان لائقاً.
فوق الزهرة الذهبية، تراب قذر.

[تذهب. تنكس الفتيات رؤوسهن وتخرجن بإيقاعية]

فتاة ١: تراب قذر.

فتاة ٢: فوق الزهرة الذهبية.

فتاة صغيرة: فوق الزهرة الذهبية

يأتون بالميتَيْـن من الغدير.

أسمر الأول

أسمر الآخر.

أي عندليب أسمر يطير ويبكي

فوق الزهرة الذهبية؟

[تذهب. يُترك المسرح خالياً. ثم تظهر الأم وجارة لها. الجارة تبكي]

الأم: هس.

الجارة: لا أستطيع.

الأم: هس، قلت.

[عند الباب]

ألا يوجد أحد هنا؟

[ترفع يديها إلى جبهتها]

ابني لابد أن يجـيـبني. لكن ابني الآن ملء ذراع من زهر ذابل. ابني صوت خافت وراء الجبال الآن.

[بغضب، إلى الجارة]

هلاّ تخـرسين؟ لا أريد عـويلاً في هذا البـيت. دمـوعك من عينيك فقط، لكن، حين أكون وحيدة ستهطل دموعي ـ من نعليّ قدميّ، من جذوري ـ تحرق أكثر من دم.

الجارة: تعالي إلى بيتي، لا تبقي هنا.

الأم: أريد أن أكون هنا. هنا. في سلام. كلهم موتى الآن: وفي منتصف الليل سأنام، سأنام بلا رعب من بنادق أو سكاكين. أمهات أخريات ستذهبن الى نوافذهن، والمطر يسوطهن، ليشاهدن وجوه أبنائهن. أما أنا فلن أذهب. ومن أحلامي، سأصنع يمامة عاجية باردة ستحمل أزهار كاميليا من صقيع أبيض إلى المقبرة. لكن لا؛ ليست مقبرة، ليست مقبرة: أريكة تراب، الفراش الذي يأويهم ويهزهم في السماء.

[تدخل امرأة متشحة بالسواد، تتجه الى اليمين وهناك تركع. الى الجارة]

أبعدي يديك عن وجهك. أمامنا أيام رهيبة. لا أريد أن أرى أحداً. الأرض وأنا. حزني وأنا. وهذه الجدران الأربعة! آي - ي - ي! آي - ي - ي!

[تجلس مغلوبة على أمرها]

الجارة: إشفقي على نفسك!

الأم *[تزيح شعرها الى الوراء]*: لابد أن أهدأ.

[تجلس]

لأن الجارات سيأتين ولا أريد أن يرينني مسكينة إلى هذا الحد. مسكينة إلى هذا الحد! امرأة بلا حتى ابن واحد ترفعه إلى شفتيها.

[تظهر العروس. هي بلا إكليلها وتضع شالاً أسود]

الجارة *[بغضب وهي ترى العروس]*: إلى أين تذهبين؟

العروس: أنا آتية إلى هنا.

الأم *[إلى الجارة]*: مَنْ هذه؟

الجارة: ألا تعرفينها؟

الأم: لذلك السبب سألتك مَن هي؟ لأنني لا أريد أن أتعرف عليها، حتى لا أنشب أسناني في عنقها. أنت يا أفعى!

[تنقض بحقد على العروس، ثم تتوقف. إلى الجارة]

أنظري إليها! ها هي، وهي تبكي، بينما أقف هنا هادئة ولا أمزق عينيها وأنتزعهما. أنا لا أفهم نفسي. هل من الممكن ألا أحب ابني؟ لكن، أين اسمه الطيب؟ أين اسمه الآن؟ أين هو؟

[تضرب العروس التي تقع على الأرض]

الجارة: من أجل الله!

[تحاول أن تفصل بينهما]

العروس *[إلى الجارة]*: دعيها؛ أتيت إلى هنا لتقتلني وليحملوني معهما.

[إلى الأم]

لكن، ليس بيديك، بخطاطيف كلاّبات، بمنجل ـ وبقوة ـ حتى تُكسر عظامي. دعيها! أريد أن تعرف أنني نظيفة، قد أكون مجنونة، لكنهم يستطيعون أن يدفنوني دون أن يكون رجل واحد قد رأى نفسه على بياض صدري.

الأم: إخرسي، إخرسي؛ ماذا يهمني هذا؟

العروس: لأنني هربتُ مع الرجل الآخر؛ هربت!

[بعذاب أليم]

أنت أيضاً كنت ستذهبين. كنت امرأة تحترق بالرغبة، مليئة

بقروح من الداخل ومن الخارج، وكان ابنك قليلاً من ماء رجوت منه أطفالاً، أرضاً، صحة؛ لكن الآخر كان نهراً أسمر، مختنق بالشجيرات، قرّب مني صوت اندفاعاته الخافتة وأغنيته المهموسة. ومضيت مع ابنك الذي كان كفتى صغير من ماء بارد ـ والآخر أرسل في مواجهتي مئات الطيور اعترضت طريقي وتركتْ صقيعاً أبيض في جروحي، جروح امرأة مسكينة ذابلة، جروح فتاة داعبتها نار. لم أرد، لم أرد هذا؛ تذكري ذلك! لم أرد هذا. ابنك كان قدري ولم أخنه، لكن ذراع الآخر جرتني كأنها جذبة البحر، كأنها هزّة رأس بغل، وكان سيظل يجرني دائماً، دائماً، دائماً ـ حتى لو صرت عجوزاً وكل أبناء أبنائك يمسكون بشعري!

[تدخل جارة]

الأم: لن تلام؛ ولا أنا سأُلام!

[بسخرية]

مَنْ يلام إذن؟ إنها امرأة رقيقة، امرأة كسولة، امرأة لا تنام، ترمي بإكليل زهر برتقال وتجري تلتمس قطعة فراش أدفأته امرأة أخرى!

العروس: أسكتي ، أسكتي! إثأري مني؛ ها أنا! أنظري كم هو طري حلقي؛ قَطْعُه سيكون أهون عليك من قطع زهرة أضالية في حديقتك. لكن، لن يكون كذلك أبداً! نظيفة، نظيفة كفتاة صغيرة حديثة الولادة. وقوية بما يكفي لإثبات هذا لك. أشعلي النار. ولنمدّ أيدينا فيها؛ أنت، عن ابنك، وأنا، عن جسدي. ستسحبين

يديك قبلي.

[تدخل جارة أخرى]

الأم: لكن، ماذا يهمني اسمك الطاهر؟ ماذا يهمني موتك؟ ماذا يهمني أي شيء عن أي شيء؟ ليبارك الله سنابل القمح، لأن أبنائي تحتها: ليبارك الله المطر، لأنه يبلل وجوه الموتى. وتبارك الله الذي يمددنا معاً لنستريح.

[تدخل جارة أخرى]

العروس: دعيني أبكي معك!

الأم: إبكي. لكن عند الباب.

[تدخل الفتاة. العروس تبقى عند الباب. الأم في وسط المسرح]

زوجة ليوناردو *[تدخل وتتجه يساراً]*:

كان فارساً جميلاً،
الآن، هو كومة ثلج.
كان يركب ماضياً إلى الأسواق والجبال
وأذرع النساء.
الآن، طحلب الليل الداكن
يتوج رأسه.

الأم:

زهرة شمس لأمك،
مرآة الأرض.
ليضعوا على صدرك
صليبَ دفلى وردية مُرّة؛

وفوقك كفن
حرير لامع؛
بين يديك الهادئتين
ليكوّن الماء حسرته.

الزوجة: آي ـ ي ـ ي، فتيان أربعة نبلاء
يأتون بأكتاف تعبة!

العروس: آي ـ ي ـ ي، فتيان أربعة نبلاء
يحملون الموت عالياً!

الأم: جارات!

فتاة صغيرة *[عند الباب]*: إنهم يحضرونهما الآن.

الأم: إنه نفس الشيء.
دائماً الصليب، الصليب.

النساء: مسامير حلوة،
صليب مزيّن،
اسم جميل
اسم سيدنا المسيح!

العروس: ليحرس الصليب الأحياء والأموات.

الأم:

يا جارات: بسكين
بسكين صغيرة،
في يومهم المحدّد، بين الثانية والثالثة،
قتل هذان الرجلان أحدهما الآخر في سبيل الحب.

بسكين
بسكين صغيرة
لا تكاد تملأ اليد،
لكنها تنزلق بدقة
خلال اللحم المندهش
وتتوقف في المكان
حيث يرتعش، متشابكاً،
جذر صرخة قاتمة.

العروس:

وهذه سكين
سكين صغيرة
لا تكاد تملأ اليد؛
سمكة بلا حراشف، بلا نهر،
ففي يومهما المحدّد، بين الثانية والثالثة،
بهذه السكين
تُرك رجلان متيبّسين،
وشفاههما تتحول إلى اللون الأصفر.

الأم:

لا تكاد تملأ اليد
لكنها تنزلق بدقة
خلال اللحم المندهش
وتتوقف هناك، في المكان

حيث يرتعش، متشابكاً،
جذر صرخة قاتمة.
[تركع الجارات على الأرضية، وينشجن]

ستار

يرمــا

قصيدة تراجيدية

من ثلاثة فصول
وستة مشاهد

شخوص المسرحية

يرما

ماريا

خوان

فِكتور

عجوز وثنية

دولورس

غسالة ١، غسالة ٢، غسالة ٣، غسالة ٤، غسالة ٥، غسالة ٦

فتاة ١، فتاة ٢

قناع أنثى، قناع ذكر

أخت خوان ١، أخت خوان ٢

امرأة ١، امرأة ٢

ولد

رجل ١، رجل ٢، رجل ٣

الفصل الاول

مشهد ١

حين يرتفع الستار، تكون يرما نائمة وإطار تطريز عند قدميها. المسرح منار بنور حلم غريب.
[يدخل راع على أطراف أصابعه ناظراً الى يرما بثبات. يقود بيده طفلاً يلبس رداءً أبيض. تدق الساعة. حين يغادر الراعي، يتغير النور الى إشراق صباح ربيع سعيد. تستيقظ يرما]

صوت *[من الداخل، يغني]*: للحضانة، الحضانة، الحضانة،
للمربية الصغيرة سنبني
كوخاً صغيراً في الحقول
وإلى هناك سنلتجىء.

يرما: خوان، هل تسمعني؟ خوان؟

خوان: قادم.

يرما: حان الوقت الآن.

خوان: هل مرّتْ الثيران؟

يرما: مرت.

خوان: أراك فيما بعد.

[ينطلق ليغادرَ]

يرما: ألن تأخذ كأس حليب؟

خوان: لماذا؟

يرما: أنت تعمل كثيراً وجسمك ليس قويا تماماً للعمل.

خوان: حين ينحل الرجال يقوون كالفولاذ.

يرما: لكن، ليس أنت. كنت مختلفاً في بداية زواجنا. الآن، وجهك أبيض كأن الشمس لم تشرق عليه أبداً. أود أن أراك تمضي

إلى النهر وتسبح أو تتسلق السطح حين ينصب المطر على بيتنا. أربعة وعشرون شهراً مرّت على زواجنا وأنت تزداد حزناً ونحولاً كأنك تنمو إلى الوراء.

خوان: هل انتهيت؟

يرما *[تنهض]*: لا تفَهمني خطأ. لو كنت مريضة لوددت منك أن تعتني بي. "زوجتي مريضة. سأذبح هذا الحمل وأطبخ لها طبق لحم جيد". "زوجتي مريضة: سأوفر دهن الدجاجة هذه لأريح صدرها ؛ سآخذ لها جلد الغنم هذا لأحمى قدميها من الثلج". تلك هي طبيعتي. لذلك السبب أعتني بك.

خوان: أنا شاكر لك.

يرما: لكنك لا تدعني أعتني بك.

خوان: لأن لا شيء بي. وكل ما ذكرتِه هي أوهامك. أنا أعمل كثيراً. وكل عام أشيخ أكثر.

يرما: كل عام. أنت وأنا سنتابع حياتنا هنا كل عام...

خوان *[مبتسماً]*: لماذا، طبعاً. وبهدوء تام. عملنا يسير سيراً حسناً، وليس لدينا أطفال نقلق عليهم.

يرما: ليس لدينا أطفال... خوان!

خوان: ماذا؟

يرما: أنا أحبك، أليس كذلك؟

خوان: نعم، أنت تحبينني.

يرما: أعرف فتيات ارتعشن وبكين قبل أن يندسسن في الفراش مع أزواجهن. هل بكيت أول مرة أويت فيها إلى الفراش معك؟ ألم أغن وأنا أعيد أغطية الكتان الرقيق إلى السرير؟ ألم أخبرك: " هذه الأغطية تفوح منها رائحة التفاح ! "

خوان: ذلك ما قلته!

يرما: بكت أمي لأنني لم آسف على فراقها. وكان ذلك صحيحاً! لم تتزوج أية فتاة أبداً وهي أسعد مني. مع هذا...

خوان: هس! أنا أواجه مشقّة كافية وأنا أسمع طيلة الوقت أنني...

يرما: لا. لا تقل لي ما يقولونه. أرى بعينيّ هاتين أن كل ذلك ليس كذلك. المطر، بقوة سقوطه على الحجارة فقط، يلينها وينمي الأعشاب عليها ـ الأعشاب التي يقول الناس إنها غير نافعة لأي شيء. "الأعشاب ليست نافعة لأي شيء"، لكنني أراها بوضوح كاف ـ تحرّك أزهارَها الصفر في الريح.

خوان: يجب أن ننتظر!

يرما: نعم؛ ويحب أحدنا الآخر.

[تحتضن يرما زوجها وتقبّله. هي تقوم بالمبادرة]

خوان: إذا احتجت إلى أي شيء، أخبريني، وسأحضره لك. أنت تعرفين تماماً أنني لا أحب أن تخرجي.

يرما: أنا لا أخرج أبداً.

خوان: أنت بخير هنا.

يرما: نعم.

خوان: الشارع للناس الذين ليس لديهم ما يفعلونه.

يرما *[بغموض]*: طبعاً.

[يغادر خوان. تتوجه يرما نحو خياطتها. تمرر يدها على بطنها، ترفع ذراعيها في تنهيدة جميلة، وتجلس لتخيط]

من أين تأتي، يا حبي، يا طفلي؟
"من جبال البرد الثلجي".

ماذا ينقصك يا حبي الجميل، يا طفلي؟
"الدفء المحبوك في ردائك".

[تدخل الخيط في الإبرة]

لترتعش الأغصان في الشمس
ولتتقافز النوافير حولنا!

[كأنها تتحدث إلى طفل]

في الفناء، الكلب ينبح،
في الأشجار الريح تغني.
تجأر الثيران بحثاً عن قطيع الثيران،
والقمر يجعّد شعري.
ماذا تريد أنت يا فتى، من هذا البُعد السحيق؟

[صمت]

"الجبال بيضٌ فوق صدرك".
لترتعش الأغصان في الشمس
ولتتقافز النوافير حولنا.

[تخيط]

سأقول لك يا طفلي، نعم،
فمن أجلك سأمزّق وأُكسر.
كم هو مؤلم هذا البطن الآن،
حيث سيكون أول مهد لك!
متى يا ولدي، متى ستجيء إليّ؟

[صمت]

"حين يفوح جسمك الياسمين برائحة زكية".
لترتعش الأغصان في الشمس
ولتتقافز النوافير حولنا!

[تستمر يرما في الغناء. تدخل ماريا من الباب حاملة لفّة من الملابس]

يرما: من أين أنت قادمة؟

ماريا: من الدكانَ.

يرما: من الدكان مبكّرة إلى هذا الحد؟

ماريا: من أجل ما أردته، لظللت أنتظر عند بابه حتى ينفتح. ألا تحزرين ماذا اشتريت؟

يرما: لعلك اشتريت قهوة للإفطار؛ سكراً، خبزاً.

ماريا: لا. اشتريت مخرّمات، وثلاثة أطوال كتان، وأشرطة، وصوفاً ملوناً لصنع شرّابات. كانت مع زوجي نقود وقد أعطانيها دون حتى أن أطلب منه.

يرما: هل ستصنعين قميصاً؟

ماريا: لا، هذا لأن ... ألا تحزرين؟

يرما: ماذا؟

ماريا: لأن... حسناً... هو هنا الآن!

[تنكس رأسها. تنهض يرما واقفة وتنظر إليها بإعجاب]

يرما: بعد خمسة أشهر تماماً؟

ماريا: نعم.

يرما: تعرفين أنه هناك؟

ماريا: طبعاً.

يرما *[بفضول]*: لكن، كيف يجعلك تشعرين؟

ماريا: لا أدري. حزينة؛ منزعجة.

يرما: حزينة؟ منزعجة؟

[تعانقها]

لكن... متى وصل؟ أخبريني عنه. لم تتوقعيه.

ماريا: لا، لم أتوقعه.

يرمـــا: لماذا، لعلك كنتِ تغنين ؛ نعم؟ أنا أغني. أنتِ.. أخبريني...

ماريا: لا تسأليني عنه. ألم تمسكي بطائر حيّ وضغطته في يدك؟

يرما: نعم.

ماريا: حسناً ـ نفس الشيء ـ لكن أكثر في دمك.

يرما: ما أجمل هذا!

[تنظر إليها، خارجة عن طورها]

ماريا: أنا مشوّشة. أنا لا أعرف شيئاً.

يرما: عماذا؟

ماريا: عما يجب أن أفعله. سأسأل أمي.

ماريا: ما الداعي؟ هي عجوز الآن وقد نسيت كل ما يدور حول هذه الأشياء. لا تمشي كثيراً جداً، وحين تتنفسين، تنفسي برقة كأن وردة توجد بين أسنانك.

ماريا: تعرفين، يقولون إنه يرفسك فيما بعد بلطف برجليه الصغيرتَيْن.

يرما: وذلك حين تحبينه أكثر من أي وقت آخر، حين يمكنك أن تقولي حقاً: "يا طفلي".

ماريا: في وسط كل هذا، أحسّ بالخجل.

يرما: ماذا قال زوجك عن هذا؟

ماريا: لا شيء.

يرما: هل يحبك كثيراً؟

ماريا: إنه لا يقول لي هذا، لكن، حين يكون لصقي، ترتعش

عيناه كورقتيّ شجر خضراوين.

يرما: هل عرف أنك...؟

ماريا: نعم.

يرما: لكن، كيف عرف هذا؟

ماريا: لا أعرف. لكن، في ليلة زفافنا، ظلّ يحدثني عن هذا وهو يضغط فمه على خدي ؛ حتى أنه يبدو لي الآن أن طفلي يمامة من نار دسها في أذني.

يرما: أوه، كم أنت محظوظة!

ماريا: لكنك تعرفيَن عن هذه الأشياء أكثر مما أعرف.

يرما: وما نفَع هذا لي؟

ماريا: ذلك صحيح! لماذا كانت الحال كذلك؟ فمن بين جميع عرائس زمانك، أنت الوحيدة التي...

يرما: تلك هي الحال. ما زال يوجد وقت طبعاً. هلينا تأخّرت ثلاث سنين، وفي الماضي البعيد في زمن أمي، تأخرَت بعضهن أكثر بكثير من ذلك. لكن سنتَين وعشرين يوماً ـ مثلي ـ وقت انتظار طويل. لا أظن أن من الصحيح لي أن أحرق نفسي حتى النهاية هنا. ففي ليال كثيرة، أخرج حافية القدمين إلى الفناء المسقوف لأمشي على الأرض. أنا لا أعرف لماذا أفعل هذا. إذا استمررت على هذا المنوال، ستسوء حالي.

ماريا: لكن، أنظري إليّ، أنت يا طفلة، أنت تتكلمين كأنك امرأة عجوز. أنصتي إليّ الآن! لا أحد يمكنه أن يشكو من هذه الأمور. أخت لأمي أنجبت طفلاً بعد أربع عشرة سنة، وكان عليك أن تري أي طفل جميل كان!

يرما *[بلهفة]*: كيف كان؟

ماريا: كان يجأر كثور صغير، بصوت عال كصوت ألف جرادة تطن معاً، ويبللنا، ويجذب ضفائرنا ؛ وحين بلغ أربعة أشهر، خمش وجوهنا كلها.

يرما *[ضاحكة]*: لكن هذه لا تؤذي.

ماريا: لأخبرك ـ

يرما: باه! لقد رأيتُ أختي ترضع طفلها من ثدييها وقد ملأتهما الخدوش. كان ذلك يؤلمها ألماً شديداً، لكنه كان ألماً نضراً ـ جيد وضروري للصحة.

ماريا: يقولون إن المرأة تعاني كثيراً من الأطفال.

يرما: ذلك كذب. ذلك ما تقوله أمهات ضعيفات كثيرات الشكوى. لماذا ينجبنهم؟ إنجاب طفل ليس باقة ورود. لا بد أن نعاني حتى نراهم يكبرون. وأنا أفكر أحياناً أن نصف دمنا يجب أن يُستنفَذ. لكن ذلك جيد، صحي، جميل. في كل امرأة دم لأربعة أو خمسة أطفال، واذا لم تنجبهم، يتحوّل إلى سمّ... كما سيحدث لي.

ماريا: لا أعرف ما بي.

يرما: سمعتُ دائماً أنه يقال إنك ستخافين أول مرة.

ماريا *[بخوف]*: سنرى. أنت تعرفين، أنت تخيطين جيداً إلى حد أن ...

يرما *[تأخذ اللفة]*: هاتيها. سأقطع لك ثوبَيْن صغيرين. وهذا...؟

ماريا: للحفاضات.

يرما *[تجلس]*: حسناً.

ماريا: حسناً... سأراك فيما بعد.

[تقترب منها، تضغط يرما بيديها على بطنها]

يرما: لا تجري على رصفة الحجارة.

ماريا: وداعاً.

[تقبلها وتخرج]

يرما: عودي سريعاً.

[يرما في نفس وضعها كما في بداية المشهد. تأخذ مقصها وتبدأ بالقطع. يدخل ڤكتور] مرحباً يا ڤكتور.

ڤِكتَور *[عميق النظرة ويَحيط به جو وقار حازم]* أين خوان؟

يرما: في الحقول.

ڤِكتور: ما ذلك الذي تخيطينه؟

يرما: أقطع بعض الحفاضات.

ڤكتور *[باسماً]*: حسناً، الآن!

يرما *[تضحك]*: سأخيط حوافها بالمخرّمات.

ڤكتور: لو كانت بنتاً، سميها باسمك.

يرما *[ترتعش]*: كيف ذلك؟

ڤكتور: أنا سعيد لك.

يرما *[تكاد تختنق]*: لا... ليست لي. إنها لطفل ماريا.

ڤكتور: حسناً إذن، لنر إنْ كان مثالها سيشجعك. فهذا البيت يحتاج إلى طفل.

يرما *[بعذاب شديد]*: يحتاح إلى طفل!

ڤكتور: حسناً، إعملي جهدك. قولي لزوجك أن يفكر في عمله أقل. يريد أن يجمع مالاً، وسيجمعه، لكن، لمن سيتركه حين يموت؟ سأخرج مع غنمي. أخبري خوان أن يأخذ الغنمتَيْن اللتَيْن اشتراهما مني، وحول هذا الشيء الآخر ـ حاولي أكثر!

[يغادر، مبتسماً]

يرما *[بعاطفية]*: تلك هي الحال! حاولي...!

سأقول لك يا طفلي، نعم،

فمن أجلك سأُمزّق وأُكسّر.

كم هو مؤلم هذا البطن الآن،

حيث سيكون مهدك أولاً!

متى يا طفلي، متى ستجيء إليّ؟

[تتجه يرما، التي نهضت وهي مستغرقة في التفكير، إلى حيث وقف فكتور، وتتنفس بعمق ـ كواحدة تستنشق هواء الجبال. ثم تمضي إلى الجانب الآخر من الغرفة كأنها تبحث عن شيء، بعد ذلك تجلس وتتابع خياطتها ثانية. تبدأ الخياطة. عيناها مثبتتان على نقطة واحدة]

ستار

مشهد ٢

[حقل. تصل يرما وبيدها سلّة. تدخل العجوز الأولى].

يرما: صباح الخير!

عجوز١: صباح الخير لفتاة جميلة! إلى أين أنت ذاهبة؟

يرما: أتيتُ للتو من أخذ الغداء لزوجي الذي يعمل في كروم الزيتون.

عجوز١: هل تزوجت منذ وقت طويل جداً؟

يرما: ثلاث سنين.

عجوز١: هل لديك أي أطفال؟

يرما: لا.

عجوز١: باه! ستنجبينهم.

يرما *[بلهفة]*: هل تظنين هذا؟

عجوز١: حسناً، لِـمَ لا؟

[تجلس]

أنا أيضاً حملت الطعام لزوجي منذ لحظات. إنه عجوز. لكن عليه أن يعمل. لديّ تسعة أطفال، كتسع شموس ذهبية، وحيث أن لا أحد منهم بنت، فها أنت ترينني أتنقل من جانب إلى آخر.

يرما: أنت تعيشين على الجانب الآخر من النهر؟

عجوز١: نعم. في الطواحين. من أية عائلة أنت؟

يرما: أنا ابنة إنريكو الراعي.

عجوز١: آه! إنريكو الراعي. عرفتُه. ناس طيبون. ينهضون، يعرقون، يأكلون بعض الخبز، ثم يموتون. لا لعب، لا أي شيء.

الأسواق لأشخاص آخرين. مخلوقات صامتة. كان يمكن أن أتزوج عمّاً من أعمامك، لكن، بعدئذ...! كنتُ امرأة تنورتها معرضة للريح. كنت أجري كسهم لقَطع البطيخ، وإلى الحفلات، إلى الكعك المحلّى بالسكر. مرات عَديدة عند الفجر اندفعتُ إلى الباب ظانّة أنني سمعت موسيقى قيثارات على الطريق تقترب أكثر فأكثر، لكنها كانت الريح فقط.

[تضحك]

ستضحكين مني. تزوجت زوجين، أربعة عشر طفلاً ـ خمسة منهم ماتوا ـ مع ذلك، أنا لست حزينة، وأود أن أعيش حياة أطول كثيراً. ذلك ما أقوله! أشجار التين، كم تدوم! البيوت، كم تدوم! ونحن النساء المسكينات المسحورات فقط نتحول إلى تراب لأي سبب!

يرما: أود أن أسألك سؤالاً.

عجوز١: لنرَ.

[تنظر إليها]

أنا أعرف عم ستسألينني، ولا توجد كلمة يمكنك أن تقوليها حول تلك الأمور.

[تنهض]

يرما *[تمسك بها]*: لكن، لـمَ لا؟ سماعي لك وأنت تتكلمين بثّ في الثقة. فمنذ بعض الوقَت، ظللتُ أريد أن أتكلم عن هذا مع امرأة عجوز ـ لأنني أريد أن أعلم. نعم، يمكنك أن تخبريني ـ

عجوز١: أخبرك بماذا؟

يرما *[تخفض صوتها]*: ما سبق وعرفته. لماذا أنا بلا أطفال؟ هل ألتفت في زهرة عمري إلى الاعتناء بطَيور صغيرة، أو أثبتُ ستائر

رقيقة بثنيّات على نوافذي الصغيرة؟ لا. عليك أن تخبريني بما أفعله، فسأفعل أي شيء تخبريني به - حتى وخزَ إبر في أضعف جزء من عينيّ.

عجوز١: أنا، أخبرك؟ أنا لا أعرف شيئاً عن هذا. لقد استلقيت على ظهري وبدأت أغني. أتى الأطفال كالماء. أوه، مَن يقول إن هذا الجسد الذي نمتلكه ليس جميلاً؟ أنت تخطين خطوة وعند نهاية الشارع يصهل حصان. آي - ي - ي! دعيني وشأني يا فتاة؛ لا تحمليني على الكلام. لدي أفكار كثيرة لا أريد أن أخبرك بها.

يرما: لـمَ لا؟ أنا لا أتكلم أبداً عن شيء آخر مع زوجي.

عجوز١: إسمعي. هل يسرّك زوجك؟

يرما: ماذا؟

عجوز١: أعني - هل تحبينه حقاً؟ هل تتوقين إلى أن تكوني معه؟

يرما: لا أعرف.

عجوز١: ألا ترتعشين حين يقترب منك؟ ألا تحسين بشيء كحلم حين يدني شفتيه لتلتصقا بشفتيك؟ أخبريني.

يرما: لا. أنا لم ألاحظ هذا أبداً

عجوز١: أبداً؟ ولا حتى حين ترقصان؟

يرما *[تتذكر]*: ربما... مرة واحدة ... مع فكتور...

عجوز١: استمري.

يرما: طوّق خصري ولم أستطع أن أقول له كلمة، لأنني لم أستطع الكلام. في مرة أخرى، فكتور هذا نفسه، حين كنت في الرابعة عشرة - وكان فتى ضخماً قوياً - أخذني بين ذراعيه ليقفز فوق خندق فبدأتُ أرتجف بقوة حتى أن أسناني اصطكت. لكنني

كنتُ دائماً خجولة.

عجوز١: لكن، مع زوجك...؟

يرما: زوجي شيء آخر. أعطاه أبي لي، فأخذتُه! بسعادة. تلك هي الحقيقة البسيطة. لماذا، من أول يوم ارتبطتُ به فكرت في... أطفالنا. ويمكنني أن أرى نفسي في عينيه. نعم، لكن ذلك كان لأرى نفسي منعكسة صغيرة جداً، طيّعة جداً، كأنني ابنة نفسي.

عجوز١: كان هذا على العكس مني تماماً. قد يكون ذلك هو سبب أنك لم تنجبي طفلاً حتى الآن. على الرجال أن يمتعونا يا فتاتي. عليهم أن يحلّوا شعرنا ويدعونا نشرب الماء من أفواههم. هكذا الدنيا تسير.

يرما: دنياك، لكن، ليست دنياي. أنا أفكر بأشياء كثيرة، كثيرة، وأنا على يقين من أن الأشياء التي أفكر فيها ستتحقق في طفلي. لقد أسلمتُ نفسي إلى زوجي من أجله، وسأواصل تسليم نفسي لأرى إذا كان سيولد ـ لكن، ليس للمتعة أبداً.

عجوز١: والنتيجة الوحيدة هي ـ أنت خاوية!

يرما: لا، لستُ خاوية، لأنني ممتلئة بالكراهية. أخبريني؛ هل هذا خطأي؟ في الرجل، هل عليك أن تبحثي عن الرجل فقط، ولا شيء أكثر من هذا؟ إذن، بماذا تفكرين حين يتركك ترقدين في الفراش تنظرين إلى السقف بعينَيْن حزينَتَيْن، ويتقلّب وينام؟ هل يجب أن أستمر في التفكير فيه هو أو فيما يخرج من صدري متألقاً؟ أنا لا أعرف؛ لكن، أخبريني أنتِ ـ إحساناً منكِ!

[تركع]

عجوز١: آه! أية زهرة متفتحة! أي مخلوق جميل أنت! لا تحمليني على قول أكثر من هذا. لا أريد أن أتحدث إليك أكثر. هذه

أمور تتعلق بالشرف. وأنا لا أحرق شرف أحد. ستكتشفين هذا. لكن، عليك أن تكوني أقل براءة.

يرما *[بحزن]*: الفتيات اللاتي يترعرعن في الريف مثلي تغلق كل الأبواب دونهن. كل شيء يصبح نصف كلمات، نصف إشارات، فكل هذه الأمور يجب ألا نتكلم عنها، كما يقولون. وأنت أيضاً، أنت أيضاً كفي عن الكلام وانصرفي عني بسيماء الطبيبَ التي تحيطين بها نفسك ـ تعرفين كل شيء لكنك تضنين به على امرأة يقتلها العطش.

عجوز١: إلى أية امرأة هادئة أخرى يمكنني أن أتكلم ؛ ليس إليك. أنا امرأة عجوز وأنا أعرف ما أقوله.

يرَما: إذن، ليساعدني الله.

عجوز١: ليس الله؛ أنا لم أحب الله أبداً. متى يدرك الناس أنه....؟ الرجال هم الذين عليهم أن يساعدونا.

يرما: لكن، لماذا تخبرينني بذلك؟ لماذا؟

عجوز١ *[تغادر]*: مع أنه لابد أن يوجد إله، حتى إله صغير، ليرسل بَرْقَه على أولئك الرجال متعفني الأصل الذين يحوّلون سعادة الحقول إلى برك ماء.

يرما: أنا لا أفهم ما تحاولين إخباري به.

عجوز١: حسناً، أنا أعرف ما أحاول أن أقوله. لا تكوني تعيسة. إإملي بما هو أفضل. أنتِ لا زلتِ شابة صغيرة. ماذا تريدين مني أن أفعله؟

[تغادر. تظهر فتاتان]

فتاة١: حيثما نذهب، نقابل ناساً.

يرما: مع كل العمل، لا بد أن يكون الرجال في كروم الزيتون

ويجب أن نأخذ إليهم طعامهم. لا يبقى أحد في البيت سوى المسنين.

فتاة٢: هل أنت في طريق العودة إلى القرية؟

يرما: أنا ذاهبة في هذا الاتجاه.

فتاة١: أنا مستعجلة. لقد تركتُ صغيري نائماً ولا أحد في البيت.

يرما: إذن، أسرعي يا امرأة. لا يمكنك أن تتركي الأطفال وحدهم كذلك. هل توجد خنازير في مكان إقامتك؟

فتاة١: لا. لكنك على حق. سأمضي على الفور.

يرما: إذهبي. كذلك تقع الأحداث. من المؤكد أنك أقفلتِ عليه الباب؟

فتاة١: طبعاً.

يرما: نعم، لكن، حتى لو كان كذلك، نحن لا نعرف مدى رقة الطفل. الشيء الذي يبدو لنا غير مؤذ قد يقضي عليه. إبرة صغيرة. جرعة ماء.

فتاة١: أنتِ على حق. أنا في طريقي إليه. أنا لا أفكر في تلك الأشياء.

يرما: إذهبي الآن!

فتاة٢: لو كان لديك أربعة أو خمسة أطفال لما تكلمتِ كذلك.

يرما: لماذا لا؟ حتى لو كان لدي أربعون.

فتاة٢: على أية حال، ليس لدينا، أنا وأنتِ، أي طفل، نحن نعيش في سلام.

يرما: ليس أنا.

فتاة٢: أنا كذلك. أي إزعاج! من جانب آخر، أمي لا تفعل

شيئاً آخر سوى أن تعطيني أعشاباً حتى أنجبهم، وفي اكتوبر، سنذهب إلى القديس الذي يمنحهم إلى النساء اللاتي يتلهفن إلى إنجابهم، كما يقولون. أمي ستطلبهم، لست أنا.

يرما: إذن، لماذا تزوجت؟

فتاة ٢: لأنهم زوجونيَ. إنهم يزوجون كل الفتيات. اذا ظللنا على هذه الحال، ستكون غير المتزوجات هن الفتيات الصغيرات فقط. حسناً، على أية حال، أنت تتزوجين حقاً قبل وقت طويل من ذهابك إلى الكنيسة. لكن العَجائز يبقين قلقات حول كل هذه الأمور. أنا في التاسعة عشرة وأنا لا أحب الطبخ أو الغسيل. حسناً، الآن، عليّ أن أمضي النهار كلــه في عمل ما لا أحب أن أعمله. وكل هذا لماذا؟ نحن نفعل الآن نفس الأفعال التي فعلناها ونحن حبيبات. كل هذه آراء العجائز السخيفة.

يرما: أسكتي. لا تتكلمي هكذا.

فتاة ٢: ستقولين إنني مجنونة أيضاً. تلك الفتاة المجنونة - تلك الفتاة المجنونة!

[تضحك]

سأخبرك بالشيء الوحيد الذي تعلمته من الحياة: كل امرأة تُحصر داخل بيتها تقوم بما لا تحب أن تقوم به. كم هي أفضل كثيراً جداً الحال في الخارج في الشوارع. أحياناً، أذهب إلى الغدير. أحيانا أتسلّق وأدق الأجراس، أو قد أشرب بعض الـ أنسيت ثانية.

يرما: أنت مجرد طفلة.

فتاة٢: لماذا، نعم ـ لكنني لست مجنونة.

[تضحك]

يرما: هل تسكن أمك في أعلى بيت في القرية؟
فتاة ٢: نعم.
يرما: في آخر بيت!
فتاة ٢: نعم.
يرما: ما اسمها؟
فتاة ٢: دولورس. لماذا تسألين؟
يرما: أوه، لا َشيء.
فتاة ٢: أنت لا تسألين بسبب أن...؟
يرما: لا أعرَف... الناس يقولون...
فتاة ٢: حسناً، هذا يعود إليك. أنظري. سآخذ إلى زوجي طعامه.

[تضحك]

ذلك شيء يجب أن تريه! من السيىء جداً أنني لا أستطيع أن أقول حبيبي، أليس كذلك؟

[تضحك]

ها هي الفتاة المجنونة تأتي!

[تغادر، وهي تضحك بسعادة]

مع السلامة!

صوت فكتور *[يغني]*: لماذا يا راعي تنام وحيداً ؟
لماذا يا راعي تنام وحيداً ؟
على غطائي الصوفي، عميقاً
ستنام نوماً أحلى.
لماذا يا راعي تنام وحيداً؟

يرما *[تصغي]*: لماذا يا راعي تنام وحيداً ؟

على غطائي الصوفي، عميقاً
ستنام نوماً أحلى.
غطاؤك من حجر مظلل
يا راعي،
وقميصك من صقيع
يا راعي،
اندفاعات الشتاء الرمادية
في مدّ ليل فراشك.
جذور السنديان تحوك إبرها
يا راعي،
تحت وسادتك بصمت،
يا راعي،
وإذا سمعتَ صوت امرأة
هو صوت الجدول الممزق.
يا راعي، يا راعي.
مالذي يريد منك سفح التل،
يا راعي؟
سفح تل من أعشاب مرة.
أي طفل يقتلك؟
الشوكة التي حملتها شجرة الوزال!

[تبدأ في الخروج فتقابل ڤكتور وهو يدخل]

فكتور *[بسعادة]*: إلى أيَن يذهب كل هذا الجمال؟

يرما: هل كنتَ أنت تغني!

فكتور: نعم.

يرما: كم هو جميل غناؤك! أنا لم أسمعك أبداًً!
فكتور: لا؟
يرما: ويا له من صوت رنّان! إنه كجدول ماء يملأ فمك.
فكتور: أنا دائماً سعيد.
يرما: ذلك صحيح.
فكتور: تماماً كما أنت حزينة.
يرما: أنا لست حزينةً عادة، لكن لدي سبب لأن أكون كذلك.
فكتور: وزوجك أشد منك حزناً.
يرما: هو حزين، نعم. إنها شخصيته ـ جافة.
فكتور: كان دائماً كذلك.

[صمت. تجلس يرما]

هل أخذت غداءه له؟
يرما: نعم.

[تنظر إليه. صمت]

ماذا لديك هنا.

[تشير إلى وجهه]

فكتور: أين؟
يرما *[تنهض وتقف قرب فِكتور]*: هنا... على خدك. كحرق.
فكتور: إنه لا شيء.
يرما: بدا لي كشيء.

[صمت]

فكتور: لابد أنها الشمس...
يرما: ربما...

[صمت. السكون يعمق، ودون أدنى حركة، يبدأ صراع بين الاثنين]

يرما *[ترتعش]*: هل تسمع ذلك؟

فكتور: ماذا؟

يرما: ألا تسمع بكاء؟

فكتور *[يصغي]*: لا.

يرما: فكرت أنني سمعت طفلاً يبكي.

فكتور: نعم؟

يرما: قريب جداً. وبكى كأنه يغرق.

فكتور: يوجد دائماً كثير من الأطفال هنا في هذه الأنحاء يأتون ليسرقوا فاكهة.

يرما: لا، إنه صوت طفل صغير.

[صمت]

فكتور: أنا لا أسمع أي صوت.

يرما: لعلي تخيلت هذا.

[تنظر إليه بثبات. ينظر إليها فِكتور أيضاً، ثم يحوّل تحديقته ببطء كأنه خائف. يدخل خوان]

خوان: ما زلت هنا؟ ماذا تفعلين هنا؟

يرما: كنت أتحَدث.

فكتور: تحية.

[يغادر]

خوان: كان يجب أن تكوني في البيت.

يرما: تأخرت.

خوان: لا أرى ما يؤخّرك.

يرما: سمعت الطيور تغني.

خوان: ذلك جيد جداً. لكن هذه هي الطريقة التي نقدم بها

للناس موضوعاً يتكلمون عنه.

يرما *[بقوة]*: خوان، بماذا تفكر؟

خوان: أنا لا أقول هذا بسببك. أنا أقوله بسبب الناس الآخرين.

يرما: الناس الآخرون، ليُلعنوا.

خوان: لا تلعني. ذلك قبيح في امرأة.

يرما: ليتني كنت امرأة.

خوان: لنكفّ عن الكلام. عودي إلى البيت.

[صمت]

يرما: حسناً. هل أنتظرك؟

خوان: لا. سأنشغل طيلة الليل في الري. يوجد ماء قليل جداً؛ إنه لي حتى طلوع الشمس، وعلي أن أحميه من اللصوص. إذهبي إلى الفراش ونامي.

يرما *[دراميـاً]*: سأنام.

[تغادر]

ستار

الفصل الثاني

مشهد ١

جدول جبلي سريع التدفق حيث تأتي نساء القرية لغسيل ملابسهن. الغسّالات مرتبات على مستويات مختلفة.

[أغنية قبل أن يُرفع الستار]:

أغنية: هنا في هذا التيار الثلجي
دعني أغسل شرائطك،
تماماً َياسمين متألّق
وجهك الضاحك.

غسالة ١: أنا لا أحب أن أتكلم.

غسالة ٢: حسناً، نحن نتكلم هنا.

غسالة ٤: ولا يوجد ضرر في هذا.

غسالة ٥: كل مَن تريد اسماً جيداً، فلتحافظ عليه.

غسالة ١: زرعت صعتر،
راقبتُه ينمو.
مَنْ يريد اسماً جيداً
عليه أن يعيش هكذا فقط.

[يضحكن]

غسالة ٥: تلك هي الطريقة التي نتكلم بها.

غسالة ١: لكن، نحن لا نعرف حقاً أي شيء بالتأكيد أبداً.

غسالة ٤: حسناً، من المؤكد تماماً أن زوجها أحضر أختيه لتعيشا معهما.

غسالة ٥: العذراوان العجوزان؟

غسالة ٤: نعم، اعتادتا أن تحرسا الكنيسة، والآن، هما تحرسان زوجة أخيهما. لن أقدر أنا أن أعيش معهما.

غسالة ١: لـمَ لا؟

غسالة ٤: سَتثيران القشعريرة في جسمي. إنهما كتلك الأوراق الكبيرة التي تولد بسرعة على القبور. إنهما ملطختان بالشمع. تنموان الى داخلهما. أتصور أنهما تقليان طعامهما بزيت المصابيح .

غسالة ٣: وهما في البيت الآن؟

غسالة ٤: منذ أمس. زوجها يعود الآن ثانية إلى حقوله.

غسالة ١: لكن، ألم يكتشف أحد ما حدث؟

غسالة ٥: أمضتْ الليلة السابقة للجلسة الأخيرة على عتبة بيتها ـ رغم البرد.

غسالة ١: لكن، لماذا؟

غسالة ٤: بقاؤها في البيت عمل شاق عليها.

غسالة ٥: تلك هي الطريقة التي خلقن حسبها تلكم المخلوقات الرجّالية. حين يخطن المخرّمات، أو يصنعن كعك التفاح، يحببن أن يصعدن إلى السطح أو يسرن حافيات الأقدام في النهر.

غسالة ١: مَنْ أنت حتى تتكلمي كذلك؟ ليس لديها أي أطفال، لكن تلك ليست غلطتها.

غسالة ٤: المرأة التي تريد أطفالاً، تنجبهم. تلك الفتيات المدللات الكسولات الضعيفات لسن على استعداد لأن تكون لهن بطون مجعدة.

[يضحكن]

غسالة ٣: ويلطخن أنفسهن بمسحوق الوجه وأحمر الشفاة، ويدبّسن عساليج دفلى، ويخرجن باحثات عن رجل ليس زوجاً لهن.

غسالة ٥: لا شيء يمكن أن يكون أصدق من هذا!

غسالة ١: لكن، هل رأيتها مع أي رجل؟

غسالة ٤: لم نرها، لكنَ ناساً آخرين رأوها.

غسالة ١: دائماً ناس آخرون.

غسالة ٥: في مناسبتَيْن منفصلتَيْن، يقولون.

غسالة ٢: وماذا كانا يفعلان؟

غسالة ٤: يتحدثان.

غسالة ١: ليس الحديث خطيئة.

غسالة ٤: في هذا العالم، مجرد لمحة يمكن أن تكون شيئاً. أمي قالت ذلك دائماً. امرأة تنظر إلى ورود ليست كامرأة تنظر إلى فخذي رجل. وهي تنظر إليه.

غسالة ١: لكن، إلى مَن؟

غسالة ٤: إلى أحدهم. ألم تسمعي؟ استنتجي بنفسك. هل تريدين مني أن أقولها بصوت أعلى؟

[ضحك]

وحين لا تنظر إليه ـ حين تكون وحيدة، حين لا يكون أمامها تماماً ـ تحمل صورته ـ في عينيها.

غسالة ١: هذه كذبة!

[يثور انفعال بينهن]

غسالة ٥: لكن، ماذا عن زوجها؟

غسالة ٢: زوجها يتصرف كرجل أصمّ. يقف في الجوار خالي

الوجه ـ كسحلية تتشمس.

[ضحك]

غسالة ١: كل هذا كان سيُحلّ من تلقاء نفسه لو كان لديهما أطفال.

غسالة ٢: هذا يأتي من ناس لا يرضون بحظهم.

غسالة ٤: كل ساعة تمر، تجعل جحيم ذلك البيت أسوأ. هي وأختا زوجها لا يفتحن شفاههن أبداً، يفركن الجدران طيلة النهار، يصقلن النحاس، ينظفن النوافذ بالبخار، ويزيّتن الأرضيات: لكن، كلما ازداد تألق البيت، كلما غلى من الداخل أكثر.

غسالة ١: كل هذا غلطته ؛ غلطته. حين لا ينجب رجل أطفالاً، عليه أن يسهر على زوجته.

غسالة ٤: إنها غلطتها ـ لأن لديها لسان قاس كالصوان.

غسالة ١: أي شيطان اندس في شعرك وجعّلك تتكلمين بتلك الطريقه؟

غسالة ٤: حسناً! مَن أعطى للسانك إذناً لتسدي إليّ النُصح؟

غسالة ٢: هدوءاً، أنتما الاثنتان!

غسالة ١: أود أن أخيط كل هذه الألسن الثرثارة بإبرة خياطة.

غسالة ٢: هدوءاً، أنت!

غسالة ٤: وأنا أود أن أخيط حلمات أثداء كل المنافقات.

غسالة ٢: هس! ألا ترين؟ ها هما أختا الزوج قادمتان.

[ينطلق همس. تدخل أختا زوج يرما. إنهما متشحتان بملابس حداد. وهن صامتات، يشرعن في غسيلهن. تسمع أجراس الغنم]

غسالة ١: هل انطلق الرعاة راحلين؟

غسالة ٢: نعم. كل القطعان ترحل اليوم.
غسالة ٤ *[تأخذ نفساً عميقاً]*: أنا أحب رائحة الخراف.
غسالة ٢: تحبينها؟
غسالة ٤: نعم. لـمَ لا؟ رائحة ما هو لنا. تماماً كما أحب رائحة الطين الأحمر الذيَ يجلبه النهر في الشتاء.
غسالة ٢: نزوات!
غسالة ٥ *[تنظر]*: كل القطعان تمضي معاً.
غسالة ٤: إنها طوفان صوف. إنها تكتسح كل شيء. لو كانت للقمح الأخضر عيون لارتعشت حين تراها قادمة.
غسالة ٢: أنظري كيف تجري! أي عصابة من الشياطين!
غسالة ١: خرجت كلها الآن، لم يضع أي قطيع.
غسالة ٤: لنرَ. لا... نعم، نعم. أحدها ضاع.
غسالة ٥: أيها؟
غسالة ٤: قطيع ڤكتور.
[تعتدل أختا الزوج في جَلستيهما وتنظر كل منهما إلى الأخرى]
غسالة ٤: هنا، في هذا التيار الثلجي
دعني أغسل شرائطك.
تماماً كياسمين متوهج
وجهك الضاحك.
أحب أن أعيش
في عاصفة الثلج الدقيقة
التي يثيرها الياسمين.
غسالة ١: واأسفاه على الزوجة العاقر!
واأسفاه على المرأة التي نهداها تراب!

غسالة ٥: أخبريني إن كان لدى زوجك
بذرة خصبة
فيغني الماء من خلال
ملابسك حقاً.
غسالة ٤: قميصك الداخلي بالنسبة إليّ
زورق فضي ونسيم
ينتشر على البحر.
غسالة ١: هذه الملابس التي هي ملابس طفلي
أغسلها هنا في الجدول
لألقن الجدول درساً
كيف يتألق كالبلور.
غسالة ٢: إلى أسفل سفح التل يهبط
وقت الغداء آتياً إليّ،
زوجي مع وردة واحدة
فأعطيه ثلاث وردات.
غسالة ٥: عبر المروج ساعة الغسق يأتي
زوجي ليأكل.
ومقابل جمرات متقدة يحضرها إليّ
أقدم إليه آساً عطرياً.
غسالة ٤: عبر سماوات الليل جاء
زوجي إلى الفراش.
أنا مثل أزهار منثور حمراء،
هو مثل أزهار منثور حمراء.
غسالة ١: وزهرة إلى زهرة يجب أن تزف حين يجفف

الصيف دم الحصادين فيصبح قاني الحمرة.

غسالة ٤: ولتتفتح أرحام لطيور بلا نوم
حين يهزّ الشتاء الباب لفتحه فيبقيه البرد مغلقاً.

غسالة ١: لابد أن تتلقى ملاءات الفراش دموعنا.

غسالة ٤: لكن، لا بد أن نغني في الفراش!

غسالة ٥: حين يأتي الزوج
لجلب الإكليل والخبز.

غسالة ٤: لأن أذرعنا لا بد أن تتشابك.

غسالة ٣: لأن النور في حلوقنا ممزق.

غسالة ٤: لأن ساق ورقة الشجر تصبح رائعة.

غسالة ١: ويُغطى التل بخيمة نسيم.

غسالة ٦
[تظهر في الجزء الأعلى من الجدول المتدفق بسرعة]:
هذا حتى يلحم طفل
بلورات بيض في الفجر.

غسالة ١: وإلى خصورنا تثبت
سيقان شجرة مرجان ممزقة.

غسالة ٦: حتى يوجد مجذفون
في مياه البحر.

غسالة ١: طفل صغير رقيق، طفل واحد.

غسالة ٢: وحين اليمامات يفردن جناحاً ويمددن منقاراً

غسالة ٣: يبكي طفل، ابن.

غسالة ٢: ويندفع الرجال إلى أمام إلى الأبد
كوعول أوهنتها الجراح.

غسالة ٥: فرح، فرح، فرح!
الرحم المنتفخ تحت الفستان!
غسالة ٢: فرح، فرح، فرح!
الخصر يمكنه أن يجترح معجزات!
غسالة ١: لكن، واأسفاه على المرأة العاقر!
واأسفاه على المرأة التي ثدياها تراب!
غسالة ٣: لتلمع متألقة!
غسالة ٤: لتجري!
غسالة ٥: ولتلمع متألقة ثانية!
غسالة ١: لتغني!
غسالة ٢: لتختفي!
غسالة ١: ولتغني مرة أخرى!
غسالة ٢: ببياض كبياض الفجر
تُـخزن ملابس طفلي النظيفة.
غسالة ١ و ٢ *[تغنيان معاً]*: ها هنا في التيار الثلجي
دعني أغسل شرائطك.
تماماً كياسمين متوهج
وجهك الضاحك.
ها! ها! ها!
[ينقلن الملابس بايقاع ويخبطنها]

ستار

مشهد ٢

بيت يرما. وقت الغسق. خوان جالس. أختاه واقفتان.

خوان: تقولين إنها خرجت قبل فترة قصيرة؟

[تجيب الأخت الكبرى بإيماءة]

قد تكون عند النبع. لكنكِ عرفت منذ البدء أنني لا أحب أن تخرج وحدها.

[صمت]

يمكنك إعداد المائدة.

[تدخل الأخت الصغرى]

الخبز الذي آكله شاق كسبه!

[إلى أخته]

أمضيت يوماً شاقاً أمس. ظللت أقلّم أشجار التفاح، وحين حل المساء تساءلت لماذا أبذل الكثير جداً من الجهد في عملي إذا كنت لا أستطع أن أرفع تفاحة إلى فمي. أنا تَعِب.

[يمر بيده على وجهه. صمت]

تلك المرأة لا تزال غائبة. كان على واحدة منكما أن تخرج معها. لهذا السبب أنتما هنا تأكلان على مائدتي وتشربان نبيذي. إن حياتي في الحقول، لكن شرفي هنا. وشرفي هو شرفكما أيضاً.

[تنكس الأخت رأسها]

لا تأخذين ذلك على نحو خاطىء.

[تدخل يرما حاملة دورقين. تقف عند الباب]

هل كنت عند النبع؟

يرما: حتىَ يكون لدينا ماء طازج للعشاء. كيف حال الحقول؟

خوان: أمس، قلّمت الأشجار.

[تضع يرما الدورقَيْن. صمت]

يرما: هل ستبقى في البيت؟

خوان: علي أن أرعى القطعان. أنتِ تعرفين أن هذا واجب مالكها.

يرما: أعلم هذا تماماً. لا تكرره.

خوان: لكل رجل حياته التي يعيشها.

يرما: ولكل امرأة حياتها. أنا لا أطلب منك البقاء. لدي كل ما أحتاج إليه هنا. أختاك تحرسانني جيداً. خبزاً وجبناً طرياً، وضأناً مشوياً، آكلها هنا، وفي الحقل، يأكل قطيعك العشب وقد ليّنه الندى. أظن أنك تستطيع أن تعيش في سلام.

خوان: لكي يعيش الإنسان في سلام، عليه أن يكون قانعاً.

يرما: وأنت لست قانعاً؟

خوان: لا. لست قانعاً.

يرما: لا تقل ما بدأتَ به.

خوان: ألا تعلمين طريقتي في التفكير؟ الغنم في الحقل والنساء في البيت. أنتِ تخرجين كثيراً جداً. ألم تسمعيني دائماً أقول ذلك؟

يرما: تماماً. النساء في بيوتهن. حين لا تكون هذه البيوت قبوراً. حين تتكسر الكراسي وتهترىء ملاءات الكتّان من الاستعمال. لكن، ليس هنا. في كل ليلة، حين آوي إلى فراشي، أجد فراشي أجدّ، أكثر لمعاناً - كأنه أُحضر للتو من المدينة.

خوان: أنت نفسك تعرفين أن لدي الحق في أن أشتكي. أن لدي أسباباً في أن أظل مستنفَراً.

يرما: مستنفر؟ لماذا؟ أنا لا أسيء إليك بأية طريقة. أنا أعيش طائعة لك، وما أعاني منه أبقيه لصق لحمي. وكل يوم يمضي سيكون أسوأ. لنصمت الآن. سأتعلم أن أحمل صليبي على أفضل ما يمكنني هذا، لكن لا تطلب مني أي شيء. لو كنت أستطيع فجأة أن أتحول إلى عجوز ويصبح لي فم كزهرة ذابلة، لاستطعت أن أبتسم وأشاركك الحياة. لكن الآن ـ الآن أتركني وشأني وحيدة مع أشواكي.

خوان: أنت تتكلمين بطريقة لا أفهمها. أنا لا أحرمك من أي شيء. فأنا أرسَل في طلب الأشياء التي تريدينها من البلدات المجاورة. لدي أخطائي، لكنني أطلب السلام والسكينة معك. أريد أن أنام في الخارج في الحقول – مطمئناً بأنك تنامين أيضاً.

يرما: لكنني لا أنام. أنا لا أستطيع أن أنام.

خوان: هل هذا لأنك تحتاجين إلى أي شيء؟ أخبريني. أجيبيني.

يرما *[بتأن، ناظرة بثبات إلى زوجها]*: نعم، أحتاج إلى شيء.

[صمت]

خوان: دائماً الشيء نفسه. مرّتْ أكثر من خمس سنوات. لقد كدتُ أنسى كل شيء عنه.

يرما: لكن، أنا لستُ أنت. لدى الرجال أشياء أخرى في الحياة: ماشيتهم، أشجارهم، أحاديثهم، لكن للنساء أطفالهن فقط ورعاية أطفالهن.

خوان: الكل ليسوا سواء. لماذا لا تحضرين أحد أطفال أخيك

إلى هنا؟ أنا لا أعترض على هذا.

يرما: أنا لا أريد أن أرعى أطفال امرأة أخرى. أظن أن ذراعيّ ستتجمدان من حملي لهم.

خوان: أنت تفكرين بهذه الفكرة الوحيدة حتى تصلي إلى حافة الجنون ـ بدلَ أن تفكري في شيء آخر ـ وتصرّين على ضرب رأسك بحجر.

يرما: حجر، نعم ؛ ومن المخزي أن يكون حجراً، لأنه يجب أن يكون سلّة زهور وروائح زكية.

خوان: إلى جانبك، لا يحسّ الإنسان بشيء سوى القلق، عدم الرضى. وكملجأ أخير، يجب أن ترضي بمصيرك.

يرما: أنا لم آت إلى هذه الجدران الأربعة لأرضى بمصيري. عندما تربط قطعةُ قماش رأسي حتى لا يسقط فمي منفتحاً، وتوثَق يداي بإحكام في تابوتي ـ عندئذ، عندئذ سأرضى بمصيري.

خوان: حسناً إذن، ماذا تريدين أن تفعلي؟

يرما: أريد أن أشرب ماء ولا يوجد ماء ولا يوجد كأس. أريد أن أصعد إلى الجبل وليس لدي قدمان، أريد أن أطرز ملابس وليس لدي خيط.

خوان: ما حدث هو أنك لست امرأة حقيقية، وأنك تحاولين أن تحطمي رجلاً ليس لديه مجال اختَيار في هذا الموضوع.

يرما: أنا لا أعرف مَن أنا. دعني أتجوّل في أنحاء المكان ؛ أستعيد نفسي ثانية. أنا لم أخذلك بأية طريقة من الطرق .

خوان: لا أحب أن يشير الناس إليّ ويفصلوني عن الآخرين . لذلك السبب أريد أن أرى هذا الباب مغلقاً وكل شخص في بيته.

[تدخل الأخت الأولى ببطء وتتجه نحو أحد الأرفف]

يرما: ليس خطيئة الحديث إلى الناس.

خوان: لكنه قد يبدو كذلك.

[تدخل الأخت الأخرى وتتجه نحو جرار الماء، تملأ من إحداها دورقاً]

خوان *[يخفت صوته]*: لست قوياً تماماً على مثل هذه الأمور. حين يتحدث الناس إليك، أغلقي فمك وتذكري أنك امرأة متزوجة.

يرما *[باندهاش]*: متزوجة!

خوان: وأن للعائلات شرفاً. وأن هذا الشرف عبء يعتمد على الكل.

[تغادر الأخت ببطء بالدورق]

لكنه قاتم وضعيف في قنوات الدم نفسها.

[تغادر الأخت الأخرى بطبق كبير بأسلوب استعراضي إلى حد ما. صمت]

إغفري لي.

[تنظر يرما إلى زوجها. يرفع رأسه فتلتقي نظراته بنظراتها]

مع أنك تنظرين إليّ بطريقة تمنعني من أن أقول لك: "إغفري لي"، بل تجبرني على أن أرغمك على أن تطيعيني، عليّ أن أغلق عليك الباب، لهذا أنا زوجك.

[تظهر الأختان عند الباب]

يرما: أرجوك ألا تتكلم عن هذا. لتهدأ الحال.

خوان: لنذهب لنأكل.

[تغادر الأختان]

هل سمعتني؟

يرما *[بعذوبَة]*: كُل أنت مع أختيك. أنا لست جائعة بعد.

خوان: كما تشائين. *[يغادر]*
يرما *[كأنها تحلم]*: أوه، يا له من حقل أسى!
أوه، هذا باب مغلق دون الجمال:
أن تطلبي طفلاً يعني أن تعاني، وإلى الريح
أن تقدمي أضالية قمر نائم!
هذان الربيعان المليئان لدي
بحليب دافيء هما لصق
لحمي إيقاعاً هرولة حصان،
يهزّان فرع عذابي الأليم.
أوه، يا ثديان أعميان تحت ملابسي!
أوه، يا يمامتان بلا عينين ولا بياض!
أوه، يا له من ألم دم سجين
يدق مسامير زنابير في قاعدة دماغي!
لكن، عليك أن تأتي، يا حبي الجميل، يا طفلي،
فالماء يعطي ملحاً، والأرض فاكهة،
وأرحامنا تحرس أطفالاً رقيقة،
تماماً كما تكون سحابة جميلة بالمطر.
[تنظر ناحية الباب]
ماريا! لماذا تسرعين أمام بابي هكذا؟
ماريا *[تدخل وبين ذراعيها طفل]*: أسرع كلما يكون الطفل معي - مادمت تبكين دائماً!
يرماَ: نعم، أنت على حق.
[تأخذ الطفل وتجلس]
ماريا: يؤلمني أن تكوني حسودة.

يرما: ليس حسداً ما أحسّ به ـ إنه فقر.

ماريا: لا تشتكي.

يرما: كيف أمنع نفسي من الشكوى حين أراك والنساء الأخريات مليئات بالأزهار في داخلكن، ثم أرى نفسي بلا نفع في وسط هذا الجمال الكثير!

ماريا: لكن لديك أشياء أخرى. لو أنصت إليّ، لسعدت.

يرما: امرأة مزرعة لا تنجب أطفالاً لا نفع منها ـ كحفنة أشواك ـ وحتى سيئة ـ حتى رغم أنني قد أكون جزءاً من هذه الأرض القفر التي تخلت عنها يد الله.

[تقوم ماريا بحركة كأنها ستأخذ الطفل]

خذيه. إنه أسعد حالاً معك. أظن أنه ليس لدى يدا أم.

ماريا: لماذا تقولين هذا؟

يرما *[تنهض]*: لأنني تعبة. لأنني تعبة من أن تكونا لدي، ولا أكون قادرة على استعمالهما لشيء هو ملكي الخاص. لأنني مصابة بأذى، بأذى ومهانة إلى حد يتجاوز التحمل، وأنا أرى القمح ينضج، والينابيع لا تتوقف أبداً عن منح الماء، والنعاج تحمل مئات الحملان، وإناث الكلاب؛ إلى أن يبدو لي أن الريف كله ينهض ليريني طفله الرقيق النائم، بينما أحس بضربتيّ مطرقة هنا، بدلاً من فم طفلي.

ماريا: لا أحبك وأنت تتكلمين بهذه الطريقة.

يرما: أنتن النسَاء اللواتي لديكن أطفال لا تفكرن بنا نحن اللواتي ليس لنا أطفال! أنتن تبقين دائماً طازجات، دون أن تكون لديكن أية فكرة عن هذا، تماماً كأي شخص يسبح في ماء عذب لا تكون لديه أية فكرة عن العطش.

ماريا: لا أريد أن أقول لك ثانية ما قلتُه لك دائمـاً.

يرما: في كل مرة تزداد الرغبة لدي ويقل الأمل.

ماريا: هذا سيىء جداً.

يرما: سأنتهي وقد آمنت بأنني أنا نفصي طفلة. كثيراً ما أنزل لأغذي الثيران ـ عمل لم أقم به من قبل أبداً، فما من امرأة تقوم به ـ وحين أمر عبر ظلام السقيفة، أسمع صوت خطواتي كأنه صوت خطوات رجل.

ماريا: كل واحدة منا تبرر الأمور لنفسها.

يرما: ورغـمـاً عن كـل هذا، أتابع الأمل في نـفسي. أنـت ترين كيف أعيش!.

ماريا: كيف حال أختيّ زوجك؟

يرما: لأمت، وبلا كفن، إن أنا تبادلتُ كلمة معهما.

ماريا: وزوجك؟

يرما: إنهم ثلاثة ضدي.

ماريا: ماذا يرون في هذا؟

يرما: أشطّ التخيلات ؛ ككل الناس الذين ليس لديهم ضمائر نقيّة. يظنون أنني أميل إلى رجل آخر. إنهم لا يعرفون أنني حتى لو ملت إلى رجل آخر، فإن الشرف لأولئك الذين على شاكلتي يأتي أولاً. إنهم حجارة في دربي، لكنهم لا يعرفون أنني أستطيع أن أكون، إذا أردتُ هذا، ماء سيل مندفع يكتسحهم.

[تدخل فتاة ثانية وتخرج حاملة رغيفاً من الخبز]

ماريا: حتى والحال كذلك، أظن أن زوجك مازال يحبك.

يرما: زوجي يقدّم إليّ الخبز والمأوى.

ماريا: أي متاعب تمرين بها! أية متاعب! لكن تذكري جراح

سيدنا المسيح.

[تقفان عند الباب]

يرما *[تنظر إلى الطفل]*: إنه صاح الآن.

ماريا: بعد فترة قصيرة، سيبدأ في الغناء.

يرما: نفس عينيكِ، هل عرفت ذلك؟ هل لاحظتهما؟ *[تبكي]* عيناه نفس عينيك!

[تدفع يرما ماريا برفق فتخرج هذه في صمت. تتجه يرما نحو الباب الذي غادر منه زوجها المكان]

فتاة ٢: إش- ش- ش.

يرما *[تعود]*: ماذا؟

فتاة ٢: انتظرتُ حتى خرجت. أمي في انتظارك.

يرما: هل هي وحدها؟

فتاة ٢: مع جارتَين.

يرما: قولي لهن أن ينتظرن قليلاً.

فتاة ٢: لكن، هل ستذهبين حقاً؟ ألستِ خائفة؟

يرما: سأذهب.

فتاة ٢: ذلك يعتمد عليك!

يرما: أخبريهن أن ينتظرنني حتى لو تأخرت!

[يدخل ڤكتور]

ڤكتور: هَل خوان هنا؟

يرما: نعم.

فتاة ٢ *[تتصرف كشريكة في الجرم]*: حسناً إذن، سأحضر القميص فيما بعد.

يرما: وقتما تشائين.

[تغادر الفتاة]

إجلس.

فكتور: أنا مرتاح هكذا.

يرما *[تنادي]*: خوان!

فكتور: جئت لأودعكم.

[يرتعد قليلاً، لكن هدوءه يعود إليه]

يرما: هل سترحل مع إخوانك؟

فكتور: ذلك ما يريده أبي.

يرما: لابد أنه عجوز الآن.

فكتور: نعم. عجوز طاعن في السن.

[صمت]

يرما: أنت على حق بتغيير الحقول.

فكتور: كل الحقول سواء.

يرما: لا. أود أن أذهب بعيداً جداً.

فكتور: كل هذا سواء. لنفس الماشية نفس الصوف.

يرما: بالنسبة للرجال، نعم؛ لكن الأمر مختلف بالنسبة للنساء. أنا لم أسمع أبداً رجلاً يأكل وهو يقول: "كم هي جيدة هذه التفاحات؟" أنت تمضي إلى ما هو لك دون أن تهتم بالتوافه. أما أنا، فيمكنني القول إنني أصبحت أكره الماء من هذه الآبار.

فكتور: هذا محتمل.

[المسرح تحت ظل ناعم]

يرما: ڤكتور.

فكتور: نعم؟

يرما: لماذا ترحل؟ الناس هنا يحبونك.

فكتور: لقد أحسنتُ سلوكي.

[صمت]

يرما: لقد أحسنتَ سلوكك دائماً. حين كنت فتى يافعاً، حملتَني ذات مرة بين ذراعيك، هل تتذكر ذلك؟ لا أحد يعرف ماذا سيحدث.

فكتور: كل شيء يتغير.

يرما: بعض الأمور لا تتغير أبداً. هناك أمور مغلق عليها خلف الجدران لا يمكن أن تتغير لأن أحداً لا يسمعها.

فكتور: على هذا النحو تسير الأمور.

[تظهر الأخت الثانية وتتجه ببطء نحو الباب، حيث تظل ثابتة، يضيئها آخر نور المساء]

يرما: لكنها لو خرجت فجأة وصرخت، لملأت الدنيا.

فكتور: لا مكسب من هذا إطلاقاً. الخندق في مكانه، والغنم في الحظيرة، والقمر في السماء، والرجل مع محراثه.

يرما: من المؤسف جداً أننا لا نستفيد من تجربة كبارنا!

[يُسمع صوت أبواق الرعاة الطويلة الكئيبة]

فكتور: القطعان.

خوان *[يدخل]*: هل أنتَ في طريقك إلى الرحيل؟

فكتور: نعم. أريد أن أقطع الطريق قبل طلوع النهار.

خوان: هل لديك أية شكوى ضدي ؟

فكتور: لا . لقد دفعتَ لي سعراً محترماً.

خوان *[إلى يرما]*: لقد اشتريت ماشيته.

يرما: اشتريتها؟

فكتور *[الى يرما]*: إنها لكِ.

يرما: لم أعرف ذلك.

خوان *[برضى]*: حسناً، الأمر كذلك.

فكتور: سيرى زوجك أراضيه تفيض.

يرما: يأتي المحصول إلى العامل الذي يبحث عنه.

[تغادر الأخت التي كانت واقفة عند الباب وتدخل غرفة أخرى]

خوان: الآن، ليس لدينا مكان لنضع فيه كل هذا العدد الكبير من الماشية.

يرما *[بغموض]*: أرض الله واسعة.

[صمت]

خوان: سنذهب معاً حتى الغدير.

فكتور: أتمنى لهذا البيت أعظم سعادة ممكنة.

[يمد يده الى يرما]

يرما: ليسمع منك الله! تحية!

[يكاد يغادر فكتور، لكنه يعود استجابة لحركة غير محسوسة من يرما]

فكتور: هل قلت شيئاً؟

يرما: تحية، قلتَ.

فكتور: شكراً لك.

[يخرجان. تقف يرما معذّبة، وهي تنظر إلى اليد التي مدتها لفكتور. تتجه بسرعة نحو اليسار وتأخذ شالاً]

فتاة ٢ *[بصمت. مغطية يدها]*: تعالي، لنذهب.

يرما: تعالي.

[تخرجان بحذر. المسرح يكاد يكون مظلماً. تدخل الأخت الأولى بمصباح فلا يضيء المسرح نور غير نوره. تتجه نحو أحد أطراف المسرح باحثة عن يرما. تدوي أبواق الرعاة]

الاخت ١ *[بصوت خافت]*: يرما!

[تدخل الأخت الأخرى . تنظر كل منهما إلى الأخرى وتتجهان نحو الباب]

الأخت ٢ *[بصوت أعلى]*: يرما!

الاخت ١ *[تتجه نحو الباب، وبصوت ملح]*: يرما!

[تُسمع أجراس وأبواق الرعاة. المسرح مظلم تماماً]

ستار

الفصل الثالث

مشهد ١

بيت دولورس الساحرة. النهار يطلع.
[تدخل يرما مع دولورس وامرأتان عجوزان]

دولورس: كنتِ جريئة.

عجوز١: ليس في العالم قوة كالرغبة.

عجوز٢: لكن المقبرة كانت مظلمة على نحو رهيب.

دولورس: مرات عديدة رتلت هذه الصلوات في المقبرة مع نساء أردن أطفالاً، وكن كلهن خائفاتَ. كلهن ما عداك.

يرما: جئت لأني أريد طفلاً. لا أعتقد أنك امرأة مخادعة.

دولورس: لست كذلك. فليمتلىء فمي بالنمل، كأفواه الموتى، لو كذبتُ مرة واحدة. آخر مرة، رتلتُ الصلاة مع متوسلة ظلّتْ جافة مدة أطول منك. فلانَ رحمها وأصبح جميلاً إلى حد أنها أنجبت طفلين هناك قرب النهر لأن الوقت لم يتسع لها للوصول إلى القرية ـ وقد حملتهما هي نفسها إليّ في الحفاضات لأعنى بهما.

يرما: وكانت قادرة على أن تمشي من النهر؟

دولورس: أتت ؛ ثيابها وحذاؤها مبللة بالدم ـ لكن وجهها كان يتألق.

يرما: ولم يحدث لها أي شيء؟

دولورس: ماذا يمكن أن يحدث لها؟ الله واحد.

يرما: طبعاً، الله واحد. لا شيء كان يمكن أن يحدث لها. التقطتْ طفليها فقط وغسلتهما في الماء النقي. الحيوانات تلعقهم،

أليس كذلك؟ أعرف أن طفلاً لي لن يقرفني. لدي فكرة أن النسوة حديثات الوضع يكنّ منيرات من الداخل وينام الأطفال ساعات وساعات على صدورهنّ وهم يسمعون جدول الحليب الدافىء يملأ الصدور لهم كي يرضعوا، ثم يلعبوا حتى لا يكفوا عن طلب المزيد منه، ويرفعوا رؤوسهم، "إرضع أكثر قليلاً يا طفلي... "- وهكذا يتغطى وجه الطفل وصدر المرأة بالقطرات البيض.

دولورس: سيكون لك طفل الآن. أؤكد لك، سيكون لك.

يرما: سيكون لي طَفل لأنه يجب أن يكوَن لي طفل. وإلا لن أفهم العالم. أحياناً، حين أكون على يقين بأنه لن يأتي أبداً... يكتسحني مدّ من نار يتخلل جسمي من قدمي وتبدو كل الأشياء خاوية؛ ويبدو الرجال الذين يسيرون في الشوارع، والقطيع، والحجارة، كلها تبدو مصنوعة من قطن. وأسأل نفسي: "لماذا وضعت كلها هنا؟ "

عجوز١: من حق امرأة متزوجة أن تريد أطفالاً طبعاً، لكن، إذا لم تنجبهم، لماذا هذا الجوع إليهم؟ الشيء المهم في الحياة هو أن نترك السنين تحملنا في سيرها. أنا لا أنتقدك. أنت ترين كيف ساعدتُ في الصلوات. لكن، أية أرض تتوقعينَ أن تعطَيها لابنك، أو أية سعادة، أو أي مقعد فضه؟

يرما: أنا لا أفكر في الغد ؛ أنا أفكر في اليوم. أنت عجوز وأنت ترين الأشياء الآن ككتاب قرىء من قبل. أما أناَ فأفكر كم أنا عطشانة، وكيف أنني لا أتمتع بأية حرية. أريد أن أحمل طفلي بين ذراعيّ حتى أنام في سلام. إسمعي جيداً، ولا تخافي مما سأقوله: حتى لو علمت أن طفلي سيعذبني وسيكرهني وسيجرني من شعري في الشوارع فيما بعد، سأظل سعيدة عند مولده، لأن من

الأفضل جداً أن نبكي من أجل رجل حيّ يطعننا من أن نبكي من أجل هذا الشبح الجاثم سنة بعد سنة فوق صدري.

عجوز١: أنت أصغر كثيراً من أن تستمعي إلى نصيحة. لكن، بينما أنت تنتظرين رحمة الله، عليكِ أن تجدي ملجأ في حب زوجك.

يرما: آه! لقد وضعت إصبعك في أعمق جرح في لحمي!

دولورس: زوجك رجلٌ طيب.

يرما *[تنهض]* : إنه طيب! إنه طيب! لكن، ماذا في هذا؟ ليته كان سيئاً. لكن، لا. إنه يخرج وغنمه وراءه، ثم يعدّ نقوده في الليل. حين يغطيني، فهو يؤدي واجبه، لكنني أحس بخصر بارد كخصر جثة، فأود أنا، التي كرهت النساء العاطفيات دائماً، أن أصبح في تلك اللحظة جبلاً من نار.

دولورس: يرما!

يرما: أنا لستُ امرأة متزوجة فاقدة الحياء، لكنني أعرف أن الأطفال يولدون من امرأة ورجل. أوه، لو كان بوسعي فقط أن أنجبهم بنفسي أنا وحدي!

دولورس: تذكّري، زوجك يعاني أيضاً.

يرما: إنه لا يعاني. المشكلة هي أنه لا يريد أطفالاً!

عجوز١: لا تقولي هذا!

يرما: أرى هذا في نظرته، وحيث أنه لا يريدهم، فهو لا يعطيني إياهم. أنا لا أحبه؛ أنا لا أحبه، مع ذلك، هو خلاصي الوحيد. بالشرف والدم. خلاصي الوحيد.

عجوز١ *[بخوف]*: سرعان ما سيطلع النهار. عليك أن تعودي إلى بيتك.

دولورس: قبل أن تعرفي، ستخرج القطعان، وليس من المناسب لك أن يراك الناس وحيدة.

يرما: لقد احتجت إلى هذه المواساة. كم مرة أردد الصلوات؟

دولورس: صلاة الغار، مرتَيْن ؛ وعند الظهر، صلاة القديسة آن. وحين تحسين بأنك حامل، أحضري لي مكيال القمح الذي وعدتني به.

عجوز١: بدأ النور ينتشر فوق التلال. إذهبي.

دولورس: سرعان ما يبدأون في فتح أبواب الشوارع الكبيرة ؛ يحسن أن تدوري حول الخندق.

يرما *[محبطة]*: لا أعرف لماذا جئت؟

دولورس: هل أنت آسفة؟

يرما: لا!

دولورس *[منزعجة]*: إنْ كنت خائفة، سأذهب معك حتى الركن.

عجوز١ *[منزعجة]*: سيكونَ النهار قد طلع تماماً حين تصلين إلى البيت.

[تُسمع أصوات]

دولورس: هدوءاً.

[يرهفن السمع]

عجوز١: لا أحد. الله معك.

[تنطلق يرما نحو الباب، لكن، في هذه اللحظة، تسمع طرقة. النسوة الثلاث واقفات]

دولورس: مَن؟

خوان: أنا.

يرما: إفتحي الباب.

[تتردد دولورس]

هل تفتحينَ أم لا؟

[يُسمع همس. يدخل خوان مع أختيه]

الأخت٢: ها هي.

يرما: ها أنا؟

خوان: ماذا تفعلين في هذا المكان؟ لو استطعت أن أصيح لأيقظتُ القرية كلها ليروا إلى أين يمضي شرف بيتي؛ لكن عليّ أن أجرع كل شيء وألوذ بالصمت ـ لأنك زوجتي.

يرما: أنا أيضاً لو استطعتُ أن أصيح لصحت حتى ينهض الموتى ويروا البراءة التي تغطيني.

خوان: لا، لا تقولي لي هذا! أستطيع أن أتحمل كل شيء ما عدا ذلك؛ أنت تخدعينني، وحيث أنني رجل يعمل في الحقول، أنا لست نداً لذكائك.

دولورس: خوان!

خوان: أنت، لا كلمة منك!

دولورس *[بقوة]*: زوجتك لم ترتكب أي خطأ.

خوان: ظلّتْ ترتكب أخطاء منذ يوم زفافنا. تنظر إليّ بإبرتَيْن، وتمضي ليال وهي ساهرة مفتوحة العينين إلى جواري، وتملأ وسائدي بتنهدات شريرة.

يرما: إهدأ!

خوان: لم أعد أحتمل. فلا بد أن يكون الرجل مصنوعاً من حديد ليحتمل امرأة تريد أن تغرز أصابعها في قلبك وتخرج من بيتها في الليل. بحثاً عماذا؟ أخبريني! لا توجد أية أزهار تقطفينها في الشوارع.

يرما: لن أدعك تنطق كلمة أخرى. ولا كلمة أخرى. أنت وأهلك تتخيلون أنكم الوحيدون الذين يحافظون على الشرف، وأنتم لا تعرفون أن ليس لدى أهلي أبداً أي شيء يخفونه. تعال الآن. اقترب وشمّ ملابسي. اقترب أكثر! أنظر إن كنتَ تجد رائحة ليست رائحتك، ليست من جسدك. أوقفني عارية في وسط الميدان وأبصق عليّ. إفعل ما تشاء بي، فأنا زوجتك، لكن حذار أن تلصق اسم رجل بصدري.

خوان: لست أنا الذي يلصقه هناك. أنت تلصقينه بسلوكك، وقد بدأت القرية تقول هذا علناً. حين أمر بجماعة، يصمتون كلهم؛ حين أذهب لأزن الطحين، يصمتون كلهم، وحتى في الليل، في الحقول، حين أستيقظ، يبدو لي أن فروع الأشجار تصمت أيضاً.

يرما: لا أعرف لماذا تنطلق الرياح الشريرة التي تلوّث القمح ـ لكن انظر وتأكد مما إذا كان القمح جيداً!

خوان: ولا أعرف أنا عماذا تبحث امرأة خارج بيتها طيلة الوقت.

يرما *[منفجرة، ومعانقة زوجها]*: أنا أبحث عنك أنت. أبحث عنك أنت. عنك أنت أبحث ليلَ نهار دون أن أجد ظلاً التقط فيه أنفاسي. دمك وعونك هما ما أريدهما.

خوان: ابتعدي عني.

يرما: لا تبعدني ـ أحبَّني!

خوان: ابتعدي!

يرما: أنظر كيف تُركت وحيدة! كأن القمر يبحث عن نفسه في السماء. أنظر إليّ!

[تنظر إليه]

خوان *[ينظر إليها ويبتعد بخشونة]*: ليكن - مرة واحدة وإلى الأبد!

دولورس: خوان!

[تسقط يرما على الأرض]

يرما *[بصوت عال]*: حين خرجتُ بحثاً عن زهراتي، اصطدمت بجدار. آي ـ ي ـ ي! آي ـ ي ـ ي! على الجدار سأكسر رأسي.

خوان: إهدأي. لنذهب.

دولورس: يا إلهي الرحيم!

يرما *[تصيح]*: ليلعن أبي الذي خلّف لي دم أب لمائة ابن. وليلعن دمي الذي يبحث عنهم مصطدماً بالجدران!

خوان: قلت لك اهدأي!

دولورس: الناس قادمون! أخفتي صوتك!

يرما: أنا لا أبالي. على الأقل، لينطلق صوتي حراً، الآن وأنا أدخل أظلم جزء من الحفرة.

[تنهض]

على الأقل، ليخرج هذا الشيء الجميل من جسدي ويملأ الهواء.

[تُسمع أصوات]

دولورس: سيمرون من هنا!

خوان: سكوت!

يرما: ذلك هو! ذلك هو! سكوت. لا تخف أبداً.

خوان: لنذهب. بسرعة!

يرما: ذلك هو! ذلك هو! ولا فائدة لي من عصر يديّ! فهو شيء ترغب فيه برأسك...

خوان: أسكتي!

يرما *[بصوت خافت]*: إنه شيء ترغب فيه برأسك وشيء آخر لجسدك. ـ ليلعن الجسد! ـ الذي لا يستجيب. إنه مكتوب، وأنا لن أرفع ذراعي ضد البحر. تلك هي الحال! ليُلطَم فمي ويخرس!

[تخرج]

ستارسريع

مشهد ٢

محيط صومعة عالية في الجبال. الجبل. في أسفل المسرح عجلات عربة وبعض قماش قنّب يشكل خيمة ريفية حيث توجد يرما.

[تدخل بعض النسوة حاملات قرابين للمزار. إنهن حافيات. العجوز المرحة في الفصل الأول على خشبة المسرح]

أغنية

[تُسمع بينما الستار ما زال مسدلاً]

أنت، لم أستطع أبداً أن أراكِ
حينَ كنت حرة خيالية،
لكن، الآنَ وقد أصبحتِ زوجة
سأجدكِ، نعم،
وأخلع عَنك ثوبك،
أنت، حاجّةَ وزوجَة
حين يكون الليل مظلماً حولنا،
حين يبدأ منتصف الليل بالدوي.

عجوز *[بكسل]*: هل شربتِ الماء المقدس؟

امرأة ١: نعم.

عجوز: الآن، لنرَ عمل القديس هذا.

امرأة ١: نحن نؤمن به.

عجوز: أنتن تأتين لتطلبن من القديس أطفالاً، ويحدث في كل سنة أن يأتي رجال منفردون أكثر في هذا الحج أيضاً؛ ما الذي يحدث هنا؟

[تضحك]

امرأة ١: لماذا تأتين إلى هنا اذا كنت لا تؤمنين به؟

عجوز: لأرى ما يجري. أنا مهوَوسة فقط لأرى ما يجري. ولأسهر على ولدي. في العام الماضي، قتل رجلان أحدهما الآخر من أجل زوجة عاقر، وأنا أريد أن أتوخى الحذر. وأخيراً، أنا آتي إلى هنا لأنني أحب المجيء.

امرأة ١: ليغفر الله لك.

[تغادر]

عجوز *[بسخرية]*: ليغفر لك أنت!

[تغادر. تدخل ماريا مع الفتاة الأولى]

فتاة ١: هل جاءت؟

ماريا: تلك هي عربتها. كان عملاً شاقاً المجيء بهم. ظلت شهراً دون أن تنهض عن كرسيها. أنا أخاف منها. لديها فكرة لا أفهمها، لكنها فكرة سيئة.

فتاة ١: أتيت مع أختي. لقد ظلت تحضر إلى هنا مدة ثماني سنوات عبثاً.

ماريا: المرأة التي تقصد أن تنجب أطفالاً، تنجبهم.

فتاة ١: ذلك ما أقوله.

[تُسمع أصوات]

ماريا: أنا لم أحب أبداً هذه الزيارات. لنذهب إلى المزارع حيث يوجد بعض الناس هناك.

فتاة ١: في السنة الماضية، حين حلّ الظلام، قرص بعض الشباب صدر أختي.

ماريا: في محيط أربعة فراسخ لا تسمع سوى هذه القصص الرهيبة.

فتاة ١: رأيتُ أكثر من أربعين برميلاً من النبيذ خلف الصومعة.

ماريا: ينحدر من هذه الجبال نهر رجال عزّاب.

[تغادران. تُسمع أصوات. تدخل يرما مع ست نساء متوجهات نحو المصلى. هن حافيات ويحملن شموعاً مزينة. يبدأ الليل في الهبوط]

ماريا: يا رب أزهر الوردة،
لا تترك وردتي في الظل.

امرأة ٢: على لحمها العاقر
أزهر الوردة الصفراء.

ماريا: وفي أرَحام خادماتك
يوجد لهبُ الأرض المعتم.

جوقة النساء: يا رب، أزهر الوردة،
لا تترك وردتيَ في الظل.

[يركعن]

يرما: للسماء لا بد أن تكون جنائن كهذه
مع أشجار ورد من فرحها،
بين الوردة والوردة،
توجد وردة فيها كل العجائب.
وميض فجر ساطع يظهر،
وملاك يحرس،
جناحاه مفرودان كعواصف،
عيناه كعذابات أليمة.
بينما الحلاوة تكتنف أوراقه
تلعب جداول حليب دافىء،
تلعب وتبلل وجوه

النجوم الهادئة.
يا رب، أزهر شجرة الورد
على لحمي العاقر.

[ينهضن]

امرأة ٢: يا رب، بيدك نفسها لطّف
الأشواك على خدها.

يرما: إسمعني، أنا التائبة
في مزار مقدّس.
إفتح وردتك في لحمي
رغم أن لها ألف شوكة.

جوقة النساء: يا رب، أزهر الوردة،
لا تترك وردَتي في الظل.

يرما: على لحمي العاقر
توجد وردة كل العجائب.

[يغادرن]

[تظهر من اليسار فتيات يجرين حاملات أكاليل في أيديهن. من اليمين، ثلاث فتيات أخريات ينظرن خلفهن. في المسرح تنطلق ما تشبة ذروة أصوات وأجراس أعنّة، وأطواق قارعي أجراس. في مكان مرتفع، تظهر الفتيات السبع يلوحن بالأكاليل نحو اليسار. تتزايد الضجة ويظهر القناعان التقليديان. أحدهما ذكر والآخر أنثى. يحملان قناعين كبيرين. إنهما ليسا بشعيّ الطراز بأي حال من الأحوال، بل جميلين جمالاً أخاذاً يوحي بشعور من أرض نقية. تهز الأنثى طوق أجراس كبيرة. يمتلىء خلف المسرح بناس يصيحون ويعلقون على الرقص. لقد احلولك الليل]

أطفال: الشيطان وزوجته! الشيطان وزوجته!

أنثى: في جدول التيه
كانت الزوجة الحزينة تستحم.

حول جسدها زحفتْ
حلزونات الماء الصغيرة.
الرمل على الضفتَيْن،
ونسمة الصباح الصغيرة
أطلقت من ضحكتها شرراً
وكتفيها يرتعشان.
آه، كيف وقفتُ عارية
العذراء في الجدول!

ولد: آه، كيف بكت العذراء!

رجل ١: أوه، زوجة حُرمت من الحب
في الريحِ والماء!

رجل ٢: لتقُل هي إلى مَن تتوق!

رجل ١: لتقل هي مَنْ تنتظر!

رجل ٢: آه، برحمها الذابل
ولونها الحائل!

أنثى: سأذكر، حين مدّ الليل يسقط
حين توهج مد الليل يسقط.
في مدّ ليل المزار
سأمزق ثوبي المكرمش.

ولد: ثم سقط مدّ الليل بسرعة.
أوه، كيف راح مدّ الليل يسقط!
أنظر كيف يصبح مظلماً
شلاّل الجبل.

[تبدأ القيثارات تعزف]

ذكر *[ينهض ويهز البوق]*: آه، كم هي بيضاء.
الزوجة الحزينة!
آه، كيف تتنهد تحت الأغصان!
خشخاشاً وقرنفلاً ستصبحين فيما بعد
حين يفرد الذكر عباءته.
[يقترب]
إن جئت إلى المزار
لتصلي لرحمك حتى يزهر
لا تضعي نقاب حداد
بل رداءً من كتان هولندي رقيق.
سيري وحيدة إزاء الجدران
حيث تنمو أجمة شجيرات التين
واحملي جسدي الأرضي
حتى يولول الفجر الأبيض.
آه، كيف هي تتألق!
كيف كانت هي تتألق،
آه، كيف تترنح الزوجة الحزينة!
أنثى: آه، ليضع عليها الحب.
أكاليل وتويجات،
ليُثبّت ريشاً من أسطع
ذهب في صدرها.
ذكر: سبع مرات بكت.
وتسعاً نهضت،
وخمس عشرة مرة مزجن

ياسميناً مع برتقال.

رجل٣: إضربها الآن بالبوق!

رجل٢: بالوردة والرقصة معاً!

رجل١: آه، كيف تترنح الزوجة!

ذكر: في هذا المزار

الرجل يأمر دائمـاً.

الأزواج ثيران.

الرجل يأمر دائمـاً

والنسوة زهرات

لمن يفوز بهن.

ولد: إضربها الآن بالريح!

رجل٢: إضربها الآن بالغصن.

ذكر: تعال وانظر روعة

الزوجة وقد اغتسلت وتنظفت!

رجل١: كقصبة تنحني.

رجال: لتبتعد الفتيات اليافعات!

ذكر: ليشتعل الرقص.

وجسد الزوجة

الطاهرة اللامع.

[يمضون راقصين بين ابتسامات وصوت ضرب النخيل. يغنون]

لابد أن يكون للسماء جنائن كهذه

مع أشجار ورد فرحها،

بين الوردة والوردة

توجد وردة واحدة فيها كل العجائب.

[تمر فتاتان ثانية، تصيحان. تدخل العجوز المرحة]

عجوز١: لنرَ إن كنتن ستسمحن لنا في النوم الآن. لكن، سرعان ما سيقع شيء آخر.

[تدخل يرما]

أنت.

[يرما منهارة ولا تستطيع أن تتكلم]

أخبريني، لماذا جئت إلى هنا؟

يرما: لا أعرف.

عجوز: ألست متأكدة بعد؟ أين زوجك؟

[تشير يرما إشارات تعب وتتصرف كشخص ينفجر رأسه بفكرة ثابتة]

يرما: هو هناك.

عجوز: ماذا يفعل؟

يرما: يشرب.

[صمت. ترفع يديها إلى جبهتها]

آي ـ ي ـ ي!

عجوز١: آي ـ ي، آي ـ ي! آي أقل! وروح معنوية أعلى. لم أستطع أن أخبرك بشيء من قبل، لكنني أستطيع الآن.

يرما: وما الذي تستطيعين إخباري به ولا أعرفه أنا من قبل؟

عجوز: ما لم يعد يمكن السكوت عليه. ما يُصرخ من فوق كل قمم الأسطح. الغلطة غلطة زوجك. هل تسمعين؟ يمكنه قطع يدي إن لم تكن كذلك. لا أبوه ولا جده ولا جد جده سلكوا سلوك رجال من دم جيد. فبالنسبة إليهم، إنجاب طفل هو التقاء السماء بالأرض ـ لأنهم لا شيء سوى بصاق. لكن، ليس أهلك. لديك أخوة وأبناء عمومة ينتشرون على مئات الفراسخ حولنا.

أنظري فقط أي لعنة حلّتْ بجمالك.

يرما: لعنة! إنها بركة سمٌ على رؤوس القمح.

عجوز: لكن لديكِ قدمين لترحلي عن البيت.

يرما: أرحل؟

عجوز: حين رأيتُك في المزار، فزع قلبي. النسوة يأتين إلى هنا ليتعرفن على رجال جدد. ويحقق القديس المعجزة. ابني خلف المصلى ينتظرني. بيتي يحتاج إلى امرأة. اذهبي معه فنعيش ثلاثتنا معاً. ابني مجبول من دم. مثلي. إذا أتيت إلى بيتي، فستكون رائحة المهود لا تزال فيه. سيكون الرماد منَ غطاء فراشك خبزاً وملحاً لأطفالك. تعالي، لا تقلقي مما سيقول الناس. وأما فيما يخص زوجك، في بيتي قلوب شجاعة وأسلحة قوية تمنعه حتى من عبور الشارع.

يرما: هس، هس! ليس الأمر كذلك. أنا لن أفعل هذا. أنا لا أستطيع أن أخرج لأبحث عن أي رجل. هل تتخيلين أنني يمكنني أن أعرف رجلاً آخر؟ أين سيترك ذلك شرفي؟ الماء لا يستطيع أن يجري إلى أعلى التل، ولا يستطيع القمر البدر أن يطلع في ساعة الظهر. على الطريق التي بدأتُ السير فيها، سأظل سائرة. هل فكرت حقاً في أنني أستطيع أن أخضع لرجل آخر؟ أن أذهب مطالبةَ بما هو لي، كعبدة؟ أنظري إليّ، حتى تعرفيني ولا تكلميني ثانية أبداً. أنا لا أبحث عن أي رجل.

عجوز: حين يعطش إنسان، يحس بالامتنان للماء.

يرما: أنا كحقل جاف تحرث فيه آلاف أزواج ثيران، وتعرضين عليّ كأس ماء بئر صغيرة. إن أساي تجاوز الجسد.

عجوز *[بقوة]*: إذن، إبقي على ذلك النحو - إن أردتِ أن تبقي!

كأشواك في حقل جاف، ذابل، مجدب!

يرما *[بقوة]*: مجدب، نعم، أعرف هذا. مجدب! ليس هناك من داعٍ لأن تقذفي بها في وجهي. ولا أن تأتي لتسلي نفسك، كما تتسلى فتيات صغيرات، بمعاناة حيوان صغير رقيق. منذ أن تزوجتُ، ظللت اتفادى تلك الكلمة، وهذه هي أول مرة أسمعها، أول مرة تقال في وجهي. المرة الأولى التي أرى أنها الحقيقة.

عجوز: أنتِ تحملينني على ألا أشفق عليك. سأجد امرأة أخرى لابني.

[تغادر. تسمع جوقة كبيرة من بعيد، يرتلها الحجاج. تتجه يرما نحو العربة، ومن خلفها يظهر خوان]

يرما: هل كنتَ هنا طيلة الوقت؟

خوان: نعم.

يرما: تتجسس؟

خوان: أتجسس.

يرما: وسمعت؟

خوان: نعم.

يرما: إذن؟ أتركني واذهب إلى الغناء.

[تجلس على قماش الخيام]

خوان: حان وقت أن أتكلم أنا أيضاً.

يرما: تكلّم!

خوان: وأشتكي.

يرما: حول ماذا؟

خوان: لدي مرارة في حلقي.

يرما: وأنا في عظامي.

خوان: هذه آخر مرة سأتحمّل فيها تفجعك المستمر على أشياء غامضة، خارج الحياة ـ على أشياء في الهواء.

يرما *[باندهاش درامي]*: تقول، خارج الحياة؟ تقول، أشياء في الهواء؟

خوان: على أشياء لم تقع، أشياء لا تستطيعين أنت ولا أستطيع أنا أن نسيطر عليها.

يرما *[بعنف]*: استمر! استمر!

خوان: على أشياء لا تهمني أنا. أنت تسمعين ذلك؟ لا تهمني. الآن، أنا مضطر إلى أن أخبرك. ما يهمني هو ما يمكنني أن أمسكه بين يدي. ما يمكن أن تراه عيناي.

يرما *[تنهض على ركبتيها يائسة]*: نعم، نعم. ذلك ما أردت أن أسمعه من شفتيك... الحقيقة لا يحسّ بها أحد حين تكون داخلنا، لكن، كيف تصبح عظيمة، كيف تصرخ حين تخرج وترفع ذراعيها! إنها لا تهمه! الآن، سمعت هذا!

خوان *[يقترب منها]*: أخبري نفسك بأن هذا كان يجب أن يحدث على هذا النحو. إصغي إليّ.

[يحتضنها ليساعدها على النهوض]

نساء كثيرات سيسرهن أن يعشن حياتك. بلا أطفال، الحياة أحلى. أنا سعيد لأن ليس لدي أطفال. إنها ليست غلطتك.

يرما: إذن، ماذا أردتَ مني؟

خوان: نفسك.

يرما *[مضطربة]*: صحيح! أنت أردتَ بيتاً، راحة، وامرأة. لكن، لا شيء أكثر. هل ما أقوله صحيح؟

خوان: هذا صحيح. ككل إنسان.

يرما: ماذا عن البقية؟ ماذا عن ابنك؟

خوان *[بقوة]*: ألم تسمعيني أقول إنني لا أهتم؟ لا تسأليني أكثر عن هذا! هل أصرخ في أذنك حتى تفهمي وربما تعيشي في سلام الآن!

يرما: ولم تفكر فيه أبداً، حتى حين رأيتني أريد واحداً؟

خوان: أبداً.

[كلاهما على الأرض]

يرما: وأنا لن آمل في واحد؟

خوان: لا.

يرما: ولا أنت؟

خوان: ولا أنا. سلمّي أمرك!

يرما: عاقر!

خوان: واستكيني في سلام. أنت وأنا ـ بسعادة، بسلام. عانقيني!

[يعانقها]

يرما: عماذا تبحث؟

خوان: عنك. في ضوء القمر، أنت جميلة.

يرما: أنتَ تريدني كما تريد أحياناً حمامة لتأكلها.

خوان: قبليني... هكذا.

يرما: ذلك ما لن أفعله أبداً. أبداً.

[تطلق يرما صرخة وتمسك بزوجها من حلقه. يتراجع إلى الخلف. تخنقه حتى يموت. تبدأ جوقة الحج]

عاقر، عاقر، لكن متأكدة. الآن، أنا أعرف هذا على نحو أكيد. ووحدي.

[تنهض. يبدأ الناس في التجمع]

الآن، سأنام دون أن أفزع نفسي حتى أستيقظ، متلهفة لأتأكد مما إذا كنتُ أحس أن في دمي دم جديد آخر. جسدي جاف إلى الأبد! ماذا تريدون؟ لا تقتربوا مني، فقد قتلتُ ابني. أنا نفسي قتلت ابني!

[تتجمع جماعة ظلت في الخلف. وتُسمع جوقة الحج]

ستار

بيت برناردا ألبا

دراما عن نساء في قرى إسبانيا

شخصيات المسرحية

برناردا (العمر: ٦٠)

ماريا خوسِفا، أم برناردا (العمر: ٨٠)

أنجوستياس، ابنة برناردا (العمر: ٣٩)

مَجدالينا، ابنة برناردا (العمر: ٣٠)

أميليا، ابنة برناردا (العمر: ٢٧)

مارتيريو، ابنة برناردا (العمر: ٢٤)

أديلا، ابنة برناردا (العمر: ٢٠)

لـ بونثيا، خادم (العمر: ٦٠)

برودِنثيا (العمر: ٥٠)

نساء في ثياب حداد

يذكر المؤلف أن القصد من تلك الفصول الثلاثة أن تكون وثيقة فوتوجرافية.

الفصل الأول

غرفة ناصعة البياض في بيت برناردا ألبا. الجدران بيض. فتحات أبواب في هيئة أقواس مع ستائر من القنب مربوطة الى الخلف بشرابات وكشاكش. كراسي قش مجدول. على الجدران صور مناظر طبيعية غير واقعية تعج بحوريات أو ملوك أساطير.

[الفصل صيف. يلف خشبة المسرح سكون متأمل عميق. المسرح خالٍ حين يرفع الستار. تسمع أجراس تقرع في الخارج]

خادم ١ *[تدخل]*: يخبطني قرع هذه الأجراس بين عينيّ تماماً.

بونثيا *[تدخل وهي تأكل خبزاً وسجقاً]*: أكثر من ساعتين من اللغو. قسس أتوا إلى هنا من كل القرى. الكنيسة تبدو جميلة. أثناء ترتيلة القدّاس الأولى على الموتى، أغمي على مَجداالينا.

خادم ١: هي التي ستشعر بالوحدة أكثر من غيرها.

بونثيا: هي الوحيدة التي أحبّت أباها. آي! الحمد على أننا انفردنا قليلاً. أتيتُ لآكل.

خادم ١: لو تراك برناردا...!

بونثيا: هي لم تأكل اليوم، والأمر سواء لديها إنْ نحن كلنا متنا من الجوع! طاغية عجوز متسلطة! لكن، سيخيب أملها! فقد فتحتُ جرة السجق.

خادم ١ *[بحزن قَلِق]* ألا تعطيني قليلاً لابنتي الصغيرة يا بونثيا؟

بونثيا: تقدّمي! خذي لك حفنة بازيلاء أيضاً. لن تفطن إلى الفرق اليوم.

صوت *[من الداخل]*: برناردا!

بونثيا: ها هي الجدة! ألم يُحكم عليها إغلاق الباب؟
خادم١: دورتان بمفتاح القفل.
بونثيا: كان يحسن بك أن تثبتي المزلاج أيضاً. لديها أصابع فاتح أقفال!
صوت *[من الداخل]*: برناردا!
بونثيا *[تصيح]*: ها هَي قادمة!
[إلى الخادم]
نظفي كل شيء جيداً. إذا لم تجد برناردا كل شيء لامعاً، ستقتلع القليل مما بقي لدي من شعر قليل.
خادم: يا لها من امرأة!
بونثيا: طاغية على كل مَنْ يحيط بها. هي قادرة على أن تجثم على قلبك وتراقبك تموتين مدة سنة كاملة دون أن تمسح تلك الابتسامة الَباهتة الباردة التي ترسمها على وجهها الشرير. أفركي، أفركي تلك الأطباق!
خادم: تخضّبت يداي بالدم من الصقل الكثير جداً لكل شيء.
بونثيا: هي أنظف الجميع، هي أطهر الجميع، هي أعلى الجميع! راحة طيبة نَعمَ بها زوجها المسكين!
[تتوقف الأَجراس]
خادم: هل أتى كل الأقرباء؟
بونثيا: أقرباؤها فقط. أهله يكرهونها. جاؤوا ليلقوا عليه نظرة وصلّبوا عليه؛ ذلك كل ما فعلوه.
خادم: هل توجد كراسٍ كافية؟

بونشيا: أكثر من كافية. ليجلسوا على الأرضية. حين مات أبو برناردا، كفّ الناس عن المجيء إلى هذا السقف. إنها لا تريدهم أن يروها في "مملكتها". اللعنة عليها!

خادم: ظلّتْ طيبة معك.

بونشيا: ثلاثون سنة وأنا أغسل لها ملاءاتها. ثلاثون سنة وأنا آكل فضلات طعامها. ليالي سهر حين تُصاب بالسعال. أيام كاملة وأنا أختلس النظر من خلال شقّ في مصاريع النوافذ الخشبية لأتجسس على الجيران وأحمل إليها الحكاية. حياة بلا أسرار، كل سر ينتقل من واحدة إلى الأخرى. لكن، رغم هذا ـ اللعنة عليها! ليَصيبها "ألم مسمار نافذ" في عينيها.

خادم: بونشيا!

بونشيا: لكنني كلب حراسة جيد! أنبح حين يُطلب مني هذا وأعضّ أعقاب المتسولين حين تطلقني عليهم. إبناي يعملان في حقولها ـ وقد تزوج كلاهما، لكن، في أحد هذه الأيام، سأكتفي.

خادم: وحينئذ...؟

بونشيا: حينئذ، سأقفل على نفسي الباب في غرفة معها وأبصق في وجهها ـ سنة كاملة. "برناردا، هاك هذا وذاك والأشياء الأخرى!"، إلى أن أتركها ـ تماماً كسحلَية سحقها الأولاد. فهي كذلك ـ هي وعائلتها كلها! لا لأنني أحسدها على حياتها. خمس بنات تُركن لها، خمس بنات دميمات ـ دون ذكْر أنجوستياس، الكبرى، من زوجها الأول، التي تملك مالاً ـ أما

بقيتهن، فأمامهن الوفير من القماش لتطريزه، الوفير من قمصان الكتان الداخلية، لكن لا شيء سوى الخبز والعنب حين تأتي إلى الميراث.

خادم: حسناً، أود أن يكون لدي ما لديهم!

بونشيا: كل ما لدينا هو أيدينا وحفرة في أرض الله.

خادم: وتلك هي الأرض الوحيدة التي سيتركونها لنا ـ لنا نحن الذين لا نملك شيئاً!

بونشيا *[عند الخزانة]*: على الزجاج بعض البقع.

خادم: لا الصابون ولا الخرق ستزيلها. *[الأجراس تقرع]*

بونشيا: الصلاة الأخيرةَ! سأذهب وأصغي. يقيناً أنني أحب الطريقة التي يرتل فيها قسيسنا. في Pater Noster / أبانا الذي في السماوات، يعلو صوته أكثر فأكثر ـ كدورق يُملأ بالماء قليلاً قليلاً. في النهاية، ينشرخ صوته طبعاً، لكن الاستماع إليه مجيد. لا، لم يوجد أبداً شخص مثل حافظ المقدّسات العجوز ـ ترونشابينوس. في قدّاس أمي، ليرحمها الله، رتّل هو. اهتزّت الحيطان ـ وحين قال "آمين"، بدا كأن ذئباً دخل الكنيسة.

[تقلّده] أ ـ آ ـ آ مـ مـ. يـ ين!

[تبدأ بالسعال]

خادم: حذار – ستجهدين قصبتك الهوائية!

بونشيا: أود أن أجهد شيئاً آخر!

[تخرج ضاحكة]

[الخادم تفرك. الأجراس تقرع]

خـــادم: *[تقلّد الأجــــراس]* ـ دونج، دونج، دونج. دونج، دونج، دونج. ليغفر الله له!

متسولة *[عند الباب، مع طفلة صغيرة]*: تبارك الله!

خـــادم: دونج، دونج، دونج. آمل أن ينتظرنا سنين عـــديدة! دونج، دونج، دونج.

متسولة *[بصوت عال، منزعجة قليلاً]*: تبارك الله!

خادم *[منزعجة]*: إلىّ أبد الآبدين؟

متسولة: أتيت للفضلات.

[تكفّ الأجراس عن القرع]

خـــادم: يمكنك أن تخـــرجي من الطريق التي دخلت منهـــا. الفضلات اليوم لي.

متـسولة: لكن، لا بد أن أحـداً يعـولك ـ أنا وابنتي الصـغيـرة وحيدتان.

خادم: الكلاب وحيدة أيضاً، وهي تعيش.

متسولة: إنهم يعطونيها دائماً.

خـادم: أخرجي من هنا! مَنْ الذي أدخلك على أية حـال؟ لقد لوثتما المكان.

[المتسولة والطفلة الصغيرة تخرجان. تتابع الخادم الفرك]

تصـــقل الأرضـيـات بالزيت، الخـزائن، القـواعـد، الأسـّـرة الحديدية ـ لكننا نحن الخادمات يمكننا أن نعاني صامتات ـ ونعيش في أكواخ طين مع طبق وملعقة. آمل ألاّ يبقى أحد ذات يوم ليذكر هذا.

[تُقرع الأجراس ثانية]

نعم، نعم ـ اقرعي مودعة. ليضعوكَ في تابوت ببطانة مذهبة وقماش مقصّب ويحملونك ـ لن تكون أقل موتاً مما سأكون أنا، لذلك خذ ما يقع تحت يدك يا أنتونيو ماريا بينافيدس ـ تيّبس في بذلتك الجوخ وجزمتك طويلة الرقبة ـ خذ ما يقع تحت يديك! لن ترفع ثانية تنورتي خلف باب الحظيرة!

[من الباب الخلفي، تدخل نساء في ثياب حداد سود، اثنتان اثنتان، عليهن شالات كبيرة وتنانير سود مع مراوح. يدخلن ببطء حتى يمتلىء بهن المسرح]

خادم *[تنطلق بالعويل]*: آه يا أنتونيو ماريا بينافيدس، الآن، لن ترى هذه الحيطان أبداً، ولن تكسر رغيفاً في هذا البَيت ثانية! أنا التي أحبتك أكثر من كل خدمك.

[تشدّ شعرها] هل لا بد أن أعيش بعد أن ذهبتَ؟ هل لا بد أن أستمر في الحياة؟

[تكمل المائتا امرأة الدخول، وتدخل برناردا وبناتها الخمس. تتكىء برناردا على عصا]

برناردا *[إلى الخادم]*: سكوت!

خادم *[تبكي]*: برناردا!

برناردا: صراخ أقل وعمل أكثر. كان يجب أن تنظفي كل هذا أكثر للسهر على الميت. أخرجي. هذا ليس مكانك.

[تبتعد الخادم وهي تبكي]

الفقراء كالحيوانات ـ يبدو أنهم خلقوا من طينة مختلفة.

امرأة ١: الفقراء يحسون بأحزانهم أيضاً.

برناردا: لكنهم ينسونها أمام طبق بازيلاء.

فتاة ١ *[باستحياء]*: الأكل ضروري للحياة؟
برناردا: في مثل سنك لا تتكلم الفتيات أمام الكبار.
امرأة: اهدأي يا طفلة.
برناردا: أنا لا أتلقى دروساً من أي شخص أبداً. إجلسن.
[يجلسن. صمت. بصوت عال] مجدالينا، لا تبكي، إذا أردتِ أن تبكي، اندسي تحت فراشك. هل تسمعينني؟
امرأة ٢ *[إلى برناردا]*: هل بدأتم العمل في الحقول؟
برناردا: أمس.
امرأة ٣: الشمس تنصبّ كالرصاص.
امرأة ١: لم أعرف حرارة كهذه منذ سنين.
[صمت. يروّحن كلهن بالمراوح على أنفسهن]
برناردا: هل الليمونادة جاهزة؟
بونثيا: نعم يا برناردا.
[تحضر صينية كبيرة مليئة بأكواز بيض صغيرة توزعها]
برناردا: أعطي الرجال بعضها.
بونثيا: إنهم يشربون في الفناء.
برناردا: ليخرجوا من حيث دخلوا، لا أريد أن يمروا من هنا.
فتاة *[إلى أنجوستياس]*: بيبي إلـ رومانو كان مع الرجال أثناء القدّاس؟
أنجوستياس: كان هناك.
برناردا: أمه كانت هناك. هي رأت أمه. لا هي ولا أنا رأينا بيبي...

فتاة: ظننت...

برناردا: الرجل الذي كان هناك كان دَرَخالي، الأرمل. كان قريباً جداً من عمتك. كلنا رأيناه.

امرأة ٢ *[على حدة. بصوت خافت]*: شريرة، أسوأ من امرأة شريرة!

امرأة ٣ : لسان كسكين!

برناردا: يجب ألا تنظر النسوة في الكنيسة إلى أي رجل سوى القسيس ـ وإليه فقط لأنه يلبس تنورة. والالتفات برأسكن يعني أنكن تبحثن عن دفء جوخ كوردوري الرجال.

امرأة ١: أفعى عجوز منافقة!

بونثيا *[من بين أسنانها]*: تتلهف لدفء رجل.

برنادرا *[تضرب الأرضية بعصاها]*: تبارك الله!

كلهن *[يصلّبن على أنفسهن]*: إلى الأبد يتبارك ويحمد.

برناردا: أرقد في سلام مع الصحبة المقدّسة على رأسك.

كلهن: أرقد في سلام!

برناردا: مع الملاك قديس ميكاييل، وسيفه سيف العدل.

كلهن: أرقد في سلام.

برناردا: مع المفتاح الذي يفتح، واليد التي تقفل.

كلهن: أرقد في سلام.

برناردا: مع المباركين، وأنوار الحقول الخافتة.

كلهن: أرقد في سلام!

برناردا: مع محبّتنا المقدّسة، وكل أرواحنا في البر والبحر.

كلهن: أرقد في سلام!

برناردا: أنزل السكينة على عبدك أنتونيو ماريا بينافيدس وامنحه تاج مجدك المبارك.

كلهن: آمين.

برناردا *[تقف على قدميها وترتل]*: Requiem aeternam dona eis domine/ ليهبه اللـــه السلام الأبدي.

كلهن *[يقفن ويرتلن على الطريقة الجورجية]*: Et lux perpetua luceat eis / وليغمره نـــور الخلود.

[يصلّبن على أنفسهن]

امرأة ١: منحك الله الصحة لتصلي على روحه.

[يصطففن للخروج]

امرأة ٣: ولا تحرمين من أرغفة خبز ساخن!

امرأة ٢: ولا من سقف لبناتك!

[يصطففن كلهن أمام برناردا ويخرجن]

[تخرج أنجوستياس من الباب إلى الفناء المرصوف]

امرأة ٤: وأن تواصلي التمتع بقمح عرسك.

بونثيا *[تدخل وهي تحمل كيس مال]*: من الرجال ـ كيس المال هذا لإقامة قداديس.

برناردا: شكراً لهم ـ وليشربوا كأس براندي.

فتاة *[إلى مجدالينا]*: مجدالينا...

برناردا *[إلى مجدالينا التي تنخرط بالبكاء]*: هس ـ س ـ س!

[تضرب بعصاها على الأرضية. لقد خرجن كلهن]

برناردا *[إلى النساء اللواتي خرجن للتو]*: عدن إلى بيوتكن وانتقدن

كل ما رأيتنّه! آمل أن تمضي سنون عديدة قبل أن تمررن تحت قوس بابي ثانية.

بونثيا: ليس لديك ما تشكين منه. البلدة كلها أتت.

برناردا: نعم، ليملأوا بيتي بعرق خِرَقهم وسمّ ألسنتهم.

اميليا: أمي، لا تتكلمي هكذا.

برناردا: أية طريقة أخرى أتكلم بها عن هذه القرية الملعونة الخالية من أي نهر ـ هذه قرية مليئة بآبار تشربين منها الماء وأنت تخشين أن تكون سُمّمت؟

بونثيا: أنظرن إلى ما فعلن بالأرضية!

برناردا: كأن قطيع ماعز مرّ من هنا!

[تنظّف بونثيا الأرضية]

أديلا، أعطيني مروحة.

أديلا: خذي هذه.

[تعطيها مروحة مدوّرة عليها أزهار خضر وحمر]

برناردا *[تلقى المروحة على الأرضية]*: هل هذه مروحة تقدمينها إلى أرملة؟ أعطيني مروحة سوداء وتعلمي أن تحترمي ذكرى أبيك.

مارتيريو: خذي مروحتي.

برناردا: وأنت؟

مارتيريو: لا أَشعر بالحر.

برناردا: حسناً، إبحثي عن مروحة أخرى، ستحتاجين إليها. لمدة ثماني سنوات من الحداد، لن يدخل نَفس هواء إلى داخل هذا البيت من الشارع. وسنتصرف كما لو كنا قد ختمنا الأبواب

والنوافذ بالطوب. ذلك ما جرى في بيت أبي ـ وفي بيت جدي. أثناء ذلك، يمكنكن جميعاً أن تبدأن بتطريز كتان صندوق أمَلكُن. لدي عشرون ثوب كتان في الصندوق ستقطعون منه الملاءات والأغطية. وتستطيع مجدالينا تطريزها.

مجدالينا: كل هذا سواء لدي.

أديلا *[ببرارة]*: إذا لم تريدي تطريزها ـ يمكن أن تظلّ كما هي. على ذلك النحو ستبدو ثيابكن أفضل.

مجدالينا: لا ثيابي ولا ثيابكن. أنا أعرف أنني لن أتزوج. وأنا أفضّل أن أحمل أكياساً إلى المطحنة. أي شيء بدلاً من الجلوس هنا في هذه الغرفة المظلمة يوماً بعد يوم.

برناردا: ذلك ما خُلقَتْ له كل امرأة.

مجدالينا: لعن الله النساء كلهن!

برناردا: في هذا البيت، ستفعلين ما آمر به. لن تجري إلى أبيك من الآن فصاعداً. الخيط والإبرة للنساء. وسير السوط والبغال للرجال. على ذلك النحو يجب أن تكون حال الناس الذين لديهم التزامات معينة.

[تخرج أديلا]

صوت: برناردا! دعيني أخرج!

برناردا *[تنادي]*: دعيها تخرج الآن!

[تدخل الخادم ١]

خادم١: قاسيت من وقت صعب وأنا أمسك بها. رغم سني أمكِ الثمانين، هي قوية كشجرة سنديان.

برناردا: هذا في العائلة. كان جدي على نفس النحو.

خادم: عدة مرات، خلال السهرة على الميّت اضطررتُ إلى أن أسدّ فمها بكيس فارغ، فقد أرادت أن تصيح منادية عليك حتى تعطيها على الأقل غَسول الصحون لتشربه، وبعض لحم الكَلاب الذي تقول بأنك تغذيها به.

مارتيريو: إنها دنيئة!

برناردا *[إلى الخادم]*: دعيها تتنفس الهواء الطلق في الفناء.

خادم: أخرجت من صندوقها خواتمها وقرطيّ الجَمَشت ولبستها، وأخبرتني بأنها تريد أن تتزوج.

[البنات يضحكن]

برناردا: أخرجي معها ولا تدعيها تقترب من البئر.

خادم: لا تخافي أن تقفز فيه.

برناردا: ليس الأمر كذلك ـ لكن الجارات سيرونها هناك من نوافذهن.

[تخرج الخادم]

مارتيريو: سنذهب لنغير ثيابنا.

برناردا: نعم، لكن لا تخلعن مناديلكن عن رؤوسكن. *[تدخل أديلا]* وأنجوستياس؟

أديلا *[في لهجة ذات مغزى]*: رأيتها تنظر من بين شقوق الباب الخلفي، حيث خرج الرجال منذ لحظة.

برناردا: وأنت، ماذا كنت تفعلين عند الباب؟

أديلا: ذهبت إَلى هناك لأرى إنْ كان الدجاج وضع بيضاً.

برناردا: لكن الرجال خرجوا!

أديلا *[في لهجة ذات مغزى]*: جماعة منهم لا تزال تقف في الخارج.

برناردا *[بعنف]*: أنجوستياس! أنجوستياس!

أنجوستياس *[تدخل]*: هل تريدين شيئاً؟

برناردا: إلى ماذا ـ وإلى مَنْ ـ كنتِ تنظرين.

أنجوستياس: إلى لا أحد.

برناردا: هل من الحشمة لامرأة من طبقتك أن تجري وراء رجل يوم جنازة أبيها؟ أجيبيني! إلى مَنْ كنتِ تنظرين؟

[صمت]

أنجوستياس: أنا...

برناردا: نعم، أنت!

أنجوستياس: إلى لَا أحد.

برناردا: ناعمة! عسلية اللسان!

[تضربها]

بونثيا *[تجري إليها]*: برناردا، اهدأي!

[تمسك بها، بينما تبكي أنجوستياس]

برناردا: أخرجن من هنا، كلكن!

[يخرجن كلهن]

بونثيا: فعلتْ هذا وهي لا تدرك ما تفعله ـ مع أن هذا سيىء طبعاً. أقرفني حقاً أن أراها تتسلل إلى الفناء. ثم وقفت عند النافذة تستمع إلى حديث الرجال الذي لم يكن، كما هي العادة،

نوع الحديث الذي تسمعه امرأة.

برناردا: لذلك الغرض يأتون الى الجنازة؟

[بفضول] عم كانوا يتحدثون؟

بونثيا: كانوا يتكلمون عن باكا لَـ روزيتا. ليلة أمس، قيّدوا زوجها في مربط خيل، ووضعوها على حصان خلف السرج، وحملوها إلى أعماق كرم الزيتون.

برناردا: وماذا فعلتْ هي؟

بونثيا: هي؟ كانت سعيدة تماماً ـ يقولون إن صدرها تعرى وأمسك بها مكسمليانو كأنه كان يعزف على قيثارة. رهيب!

برناردا: وماذا َحَدث؟

بونثيا: ما يجب أن يحدث. عادوا عند طلوع النهار تقريباً. باكا لَـ روزيتا محلولة الشعر وأكليل أزهار على رأسها.

برناردا: هي المرأة السيئة الوحيدة لدينا في القرية.

بونثيا: لأنها ليست من هنا. إنها من بعيد تماماً. وأولئك الذين ذهبوا معها هم أبناء غرباء أيضاً. الرجال من هنا لا يفعلون شيئاً كذلك!

برناردا: لا، لكنهم يحبون رؤيته، ويتكلمون عنه، ويمصون أصابعهم عند سماعه.

بونثيا: كانوا يتحدثون عن أشياء أكثر.

برناردا *[تنظر من جانب إلى آخر بخوف]*: أية أشياء؟

بونثيا: أنا أستحي من الكلام عنها.

برناردا: وابنتي سِمعَتها؟

بونثيا: طبعاً!

برناردا: تلك الفتاة تشبه عماتها: بيض معسولات الكلام ويلقين نظرات عنزات عند أية تحية حلاّق صغير. آه، يجب أن تواجه المرأة الناس وتصبر عليهم بالحشمة والهدوء.

بونثيا: إن بناتك بلغن عمراً لا بد أن يكون لهن فيه أزواج. قد يسببن لك قليلاً جداً من المتاعب. لا بد أن أنجوستياس تجاوزت الثلاثين بكثير الآن.

برناردا: بالضبط، تسع وثلاثون سنة.

بونثيا: تصوري. ولم تحظ بحبيب أبداً...

برناردا *[بعنف]*: لم تحظ أية واحدة منهن بحبيب وهن لا يحتجن الى أي حبيب! إنهن يعشن جيدا جداً.

بونثيا: لم أقصد بذلك أن أسيء إليك.

برناردا: على امتداد مائة فرسخ، لا يوجد أحد جدير بأن يقترب منهن. الرجال في هذه البلدة ليسوا من طبقتهن. هل تريدين أن أسلمهن إلى أول راعي غنم؟

بونثيا: كان يجب أن تنتقلي إلى بلدة أخرى.

برناردا: ذلك هو الوضع. لأبيعهن!

بونثيا: لا يا برناردا، للتغيير... في أي مكان آخر، سيكن الفقيرات طبعاً.

برناردا: أمسكي لسانك المعذّب!

بونثيا: الإنسان لا يستطيع حتى الكلام إليك. هل نتبادل الأسرار أو لا نتبادلها؟

برناردا: نحن لا نتبادلها. أنت خادم وأنا أدفع لك. لا شيء أكثر.

بونثيا: لكن...

خادم ١ *[تدخل]*: دُونْ أرتورو هنا. جاء ليسوي تقسيم التركة.

برناردا: لنذهب.

[إلى الخادم]

ابدأي بتبييض الفناء.

[إلى بونثيا]

وأنت، ابدأي بوضع كل ملابس الميّت في الصندوق.

بونثياَ: يمكننا إعطاء بعض الأشياء.

برناردا: لا شيء - حتى ولا زر واحد! حتى ولا قطعة القماش التي غطينا بها وجهه.

[تخرج ببطء متكئة على عصاها. عند الباب، تلتفت الى الخادمتين. تخرجان. تغادر هي]

[تدخل أميليا ومارتيريو]

أميليا: هل تناولت الدواء؟

مارتيريو: لكل الفائدة التي سيقدمها إليّ!

أميليا: لكنك تناولته.

مارتيريو: أنا أقوم بأعمال بلا اقتناع، لكن كعمل ساعة.

أميليا: منذ أن قدم الطبيب الجديد، تبدين أكثر حيوية.

مارتيريو: أشعر بنفس الشعور.

أميليا: هل لاحظتِ؟ أديلايدا لم تكن في الجنازة؟

مارتيريو: أعرف. حبيبها لا يسمح لها بالخروج حتى إلى عتبة الباب الأمامية. قبلذاك، كانت مرحة. أما الآن، حتى ولا مسحوق على وجهها.

أميليا: في هذه الأيام لا تعرف الفتاة ما إذا كان عليها أن يكون لها حبيب أو لا.

مارتيريو: كل شيء على حد سواء.

أميليا: المشكلة كلها من الألسنة المثرثرة التي لا تدعنا نعيش. من المحتمل أن أديلايدا تمر بوقت سيىء.

مارتيريو: إنها خائفة من أمنا. أمنا هي الوحيدة التي تعرف قصة أبي أديلايدا ومن أين حصل على أراضيه. كلما تأتي إلى هنا، تلوي أمنا السكين في الجرح. لقد قتل أبوها زوج زوجته الأولى في كوبا حتى يتمكن من أن يتزوجها. ثم تركها هناك وذهب مع امرأة أخرى كانت لها ابنة، ثم تعلّق بهذه الفتاة الأخرى، أم أديلايدا، وتزوجها بعد أن ماتت زوجته الثانية وهي مجنونة.

أميليا: لكن، لماذا لا يوضع رجل كهذا في السجن؟

مارتيريو: لأن الرجال يساعدون بعضهم على التستر على أفعال كتلك ولا أحد يقدر على أن يكشفهم.

أميليا: لكن أديلايدا لا تلام على أي من تلك الأفعال.

مارتيريو: لا. لكن التاريخ يكرر نفسه. أنا أرى أن كل شيء هو تكرارٌ رهيب. وستلقى نفس مصير أمها وجدتها ـ كلتاهما زوجة الرجل الذي اتخذها ابنة.

أميليا: يا له من أمر شنيع!

مارتيريو: يحسن ألا تنظر المرأة إلى رجل أبداً. لقد ظللت أخاف من الرجال منذ أن كنتُ فتاة صغيرة. كنت أراهم في الفناء يربطون الثيران ويرفعون أكياس الحبوب ويصرخون ويخبطون بأقدامهم، فأشعر دائماً بالخوف من أن أكبر خشيةَ أن يأخذني أحدهم فجأة بين ذراعيه. لقد خلقني الله دميمة وضعيفة ومن المؤكد أنه أبعد هذه الأمور عني.

أميليا: لا تقولي ذلك! إنريكي أوماناس يجري وراءك وهو ميّال إليك.

مارتيريو: تلك هي آراء الناس. ذات مرة، وقفتُ في قميص النوم عند النافذة حتى طلوع النهار لأنه أفهمني عن طريق ابنة راعيه الصغيرة بأنه سيأتي، ولم يأت. كان كل ذلك مجرد كلام. ثم تزوج فتاة أخرى لديها مال أكثر َمما لدي.

أميليا: ودميمة كالشيطان.

مارتيريو: ماذا يهم الرجال من الدمامة؟ كل ما تهمهم الأراضي ونير الثيران وكلبة خاضعة ستطعمهم.

أميليا: آي!...

[تدخل مجدالينا]

مجدالينا: ماذا تفعلان؟

مارتيريو: نحن هنا فقط.

أميليا: وأنت؟

مجدالينا: ظَللتُ أدخل كل الغرف. لأتمشى قليلاً فقط وأنظر إلى صور جدتي المطرزة بالإبرة ـ الكلب الصوفي الصغير،

والرجل الأسود الذي يصارع الأسد ـ التي أعجبتنا كثيراً جداً حين كنا أطفالاً. تلك كانت أياماً أسعد. كانت الأعراس تستمر عشرة أيام ولم تكن ألسنة الناس تتقوّل. أما اليوم، الناس مهذبون أكثر. العرائس تلبسن نقباً بيضاً، تماماً كما في المدن، ونحن نشرب نبيذاً مقنّناً، لكننا نتعفن في الداخل بسبب ما قد يقوله الناس.

مارتيريو: ويعلم الله ماذا يجري بعدئذ!

أميليا *[إلى مجدالينا]*: أفلت أحد رباطيّ حذائك.

مجدالينا: ماذا يهم؟

أميليا: ستدوسين عليه وتسقطين!

مجدالينا: تنقص واحدة.

مارتيريو: وأديلا؟

ماجدالينا: آه. لبسَتْ الفستان الأخضر الذي خاطته لتلبسه في عيد ميلادها، وخرَجتْ إلى الفناء، وبدأت تصيح: "يا دجاجات! يا دجاجات، أنظرن إليّ!" وكان لابد أن أضحك.

أميليا: لو أن أمي رأتها فقط!

مجدالينا: مسكينة! إنها أصغرنا ولا تزال لديها أوهامها. سأضحي بأي شيء في سبيل أن أراها سعيدة.

[صمت، تعبر أنجوستياس المسرح، حاملة بعض المناشف]

أنجوستياس: كم الساعة الآن؟

مجدالينا: لا بد أنها الثانية عشرة.

أنجوستياس: تأخر الوقت جداً؟

أميليا: توشك أن تدق.

[تخرج أنجوستياس]

مجدالينا *[في لهجة ذات مغزى]*: ألا تعرفان؟

أميليا: لا.

مجدالينا: اقتربا!

مارتيريو: أنا لا أعرف عم تتحدثين!

مجدالينا: كلاكما تعرفانه خيراً مما أعرفه، فرأساكما معاً دائماً، كعنزتين صغيرتين، لكنكما لا تشركان أحداً في الموضوع. أعني عن بيبي إلـ رومانو!

مارتيريو: آه!

مجدالينا *[ساخرة منها]*: آه! البلدة كلها تتكلم عن هذا. بيبي إلـ رومانو سيتزوج أنجوستياس. ليلة أمس، دار حول منزلنا وأظن أنه سيبعث إعلاناً بهذا قريباً.

مارتيريو: أنا سعيدة. إنه رجل طيب.

أميليا: وأنا كذلك. أنجوستياس حسنة الحال.

مجدالينا: ليست أية واحدة منكما مسرورة.

مارتيريو: مجدالينا! ماذا تعنين؟

مجدالينا: لو أنه أتى بسبب نظرات أنجوستياس، من أجل أنجوستياس كامرأة، فسأسر أنا أيضاً، لكنه يأتي من أجل مالها. مع أن أنجوستياس أختنا، نحن أسرتها هنا ونعرف أنها كبيرة السن وكثيرة المرض، وكانت دائماً الأقل جاذبية بيننا! لكن إذا بدت كعصا مهندمة الملابس في العشرين، كيف ستبدو الآن، الآن وهي في الأربعين.

مارتيريو: لا تتكلمي هكذا. الحظ يأتي الى مَنْ يتوقع مجيئه إليه أقل من غيره.

أميليا: لكن مجدالينا على حق بعد كل هذا! لدى أنجوستياس كل مال أبيها؛ هي الغنية الوحيدة في هذا البيت، ولذلك السبب، بعد أن مات أبونا الآن ويُقسم المال، يأتون إليها.

مجدالينا: بيبي إلـ رومانو في الخامسة والعشرين، وهو أجمل رجل فيما حولنا. التصرف الطبيعي له هو أن يأتي إليك أنت يا أميليا، أو الى أديلا، التي هي في العشرين ـ وألاّ ينظر إلى الفتاة الأقل جاذبية بيننا، امرأة تتكلم، كأبيها، من أنفها.

مارتيريو: لعله يميل إلى ذلك؟

مجدالينا: لم أقدر أبداً على تحمل نفاقك.

مارتيريو: يا للسماوات!

[تدخل أديلا]

مجدالينا: هل رأتك الدجاجات؟

أديلا: ماذا تردن منيَ أن أفعل؟

أميليا: لو رأتك أمنا، ستجرك من شعرك!

أديلا: انتابتني أوهام كثيرة حول هذا الفستان. لقد خططت لألبسه في اليوم الذي سنأكل فيه بطيخاً عند البئر. لن يكون له مثيل.

مارتيريو: إنه فستان جميل.

أديلا: وفستان سيبدو جيداً جداً عليّ. إنه أفضل فستان خاطته مجدالينا.

مجدالينا: والدجاجات، ماذا قلن لك؟

أديلا: أهدتني بضعة براغيث خرّمت رجلي بالثقوب.

[يضحكن]

مارتيريو: ما يمكنك فعله هو أن تصبغيه بالسواد.

مجدالينا: أفضل ما تفعلينه هو أن تعطيه الى أنجوستياس بمناسبة زفافها على بيبي إلـ رومانو.

أديلا *[بانفعال مكتوم]*: لكن بيبي إلـ رومانو...

أميليا: ألم تسمعي عن هذا؟

أديلا: لا.

مجدالينا: حسناً، الان، أنت تعرفين.

أديلا: لكن هذا لا يمكن أن يحدث.

مجدالينا: المال يفعل أي شيء.

أديلا: ألذلك السبب خرجتْ بعد الجنازة ووقفت تنظر من الباب؟

[صمت]

وذلك الرجل سـ...

مجدالينا: سيفعل أي شيء.

[صمت]

مارتيريو: بماذا تفكرين يا أديلا؟

أديلا: أفكر بأن هذا الحداد قد نزل علي في أسوأ لحظة في حياتي فلا أستطيع تحمله.

مجدالينا: ستعتادين على هذا.

أديلا *[تنفجر، وتبكي في غضب]*: لن أعتاد على هذا! لا أستطيع أن أظل حبيسة. لا أريد أن تبدو بشرتي كبشرتكن. لا أريد أن يضيع بياض بشرتي في هذه الغرف. غداً، سألبس فستاني الأخضر وأنزل أتمشى في الشوارع. أريد أن أخرج!

[تدخل الخادم ١]

مجدالينا *[في لهجة آمرة]*: أديلا.

خادم: مسكينة! كم تفتقد أباها...

[تخرج]

مارتيريو: هس.

أميليا: ما يقع على واحدة سيقع علينا كلنا.

[أديلا تهدأ]

مجدالينا: الخادم تسمعك.

خادم*[تدخل]*: بيبي إلـ رومانو آت من نهاية الشارع.

[تجري أميليا ومارتيريو ومجدالينا بسرعةً]

مجدالينا: لنذهب لنراه!

[يخرجن مهرولات]

خادم *[إلى أديلا]*: ألن تذهبي؟

أديلا: الأمر لا يهمني!

خادم: حيث أنه لا بد أن يدور حول الركن، سترينه على نحو أفضل من نافذة غرفتك.

[تخرج الخادم. تترك أديلا على خشبة المسرح، تقف مترددة؛ بعد لحظة، تغادر بسرعة أيضاً، ذاهبة نحو غرفتها. تدخل برناردا وبونثيا]

برناردا: لعن الله الحصص والأقسام!

بونثيا: يا للمال الكثير الذي ورثته أنجوستياس!

برناردا: نعم.

بونثيا: وللأخريات، أقل إلى حد ملحوظ.

برناردا: أخبرتني بذلك ثلاث مرات حتى الآن، وأنت تعرفين أنني لا أريد ذكرَ هذا! أقل إلى حد ملحوظ؛ أقل بكثَير! لا تذكريني مرة أخرى.

[تدخل أنجوستياس، وقد وضعت زينة ثقيلة على وجهها]

أنجوستياس!

أنجوستياس: أمي.

برناردا: هل جرؤت على مَسْحَقة وجهك؟ هل جرؤت على غسيل وجهك في يوم وفاة أبيك؟

أنجوستياس: لم يكن أبي. أبي مات منذ زمن طويل. هل نسيتِ هذا؟

برناردا: أنت مدينة لهذا الرجل، أبي أخواتك، أكثر مما أنت مدينة لأبيك. بفَضله، لم تُمس ثروتك.

أنجوستياس: لا بد أن أتحقق من هذا أولاً.

برناردا: حتى أنك خلعت برقع الحياء! تخليت عن الاحترام!

أنجوستياس: دعيني أخرج يا أمي!

برناردا: أدعك تخرجين؟ بعد أن أزيل ذلك المسحوق عن وجهك، سأدعكِ تخرجين. مائعة! عاهرة مصبوغة! تماماً

كعماتك!

[تزيل المسحوق بمنديلها بعنف]

الآن، أخرجي!

بونثيا: لا تكوني بغيضة إلى هذا الحد!

برناردا: حتى مع أن أمي مهووسة، لا زلتُ أنا أتمتع بحواسي الخمس وأعرف ما أفعله.

[يدخلن كلهن]

مجدالينا: ما الذي يجري هنا؟

برناردا: لا شيء "يجري هنا"!

مجدالينا *[إلى أنجوستياس]*: إذا كنتن تتقاتلن حول الميراث، فأنتِ أغنى الكل ويمكنك أن تبلعيه كله.

أنجوستياس: إحفَظي لسانك في حقيبتك.

برناردا *[تدق الأرضية]*: لا تخدعنن أنفسكن بالتفكير بأنكن ستجردنني من السلطة. إلى أن أخرج من هذا البيت وقدماي تتقدمانني، سأظل أصدر الأوامر إلى نفسي وإليكن.

[تسمع أصوات وتدخل ماريا خوسِفا، أم برناردا العجوز. هي عجوز جداً وقد زينت صدرها ورأسها بأزهار]

ماريا خوسِفا: برناردا، أين طرحتي؟ لا شيء، لا شيء مما أملكه سيكون من نصيب أي منكن. لا خواتمي ولا فستاني الأسود الحريري المتموج. فلن تتزوج أي واحدة منكن ـ ولا أية واحدة. برناردا، أعطيني عقدي اللؤلؤي.

برناردا *[إلى الخادم]*: لماذا سمحتِ لها في أن تدخل إلى هنا؟

خادم *[مرتجفة]*: هربت مني!

ماريا خوسِفا: هربتُ لأني أريد أن أتزوج - أريد أن أتزوج من رجل جميل فحل من شاطىء البحر. لأن الرجال هنا يهربون من النساء.

برناردا: هس، هس يا أمي!

ماريا خوسِفا: لا، لا - لن أهس. لا أريد أن أرى هاته النسوة الوحيدات متلهفات على الزواج، محولات قلوبهن إلى تراب؛ وأريد أن أعود إلى بلدتي. برناردا، أريد رجلاً أتزوجه وأسعد معه!

برناردا: إحبسنها في غرفتها!

ماريا خوسِفا: دعيني أخرج يا برناردا!

[تمسك الخادم بماريا خوسفا]

برناردا: ساعدنها، كلكَن!

[يمسكن بها كلهن].

ماريا خوسِفا: أريد أن أخرج من هنا! برناردا! لأتزوج من شاطىء البحر - من شاطىء البحر!

ستار سريع

الفصل الثاني

غرفة بيضاء في بيت برناردا ألبا. الأبواب الى اليسار تؤدي الى غرف النوم.
[بنات برناردا يجلسن في كراسٍ منخفضة، يخطن. مجدالينا تطرز. بونثيا معهن]

أنجوستياس: قطعتُ الملاءة الثالثة.

مارتيريو: هذه الملاءة تذهب الى أميليا.

مجدالينا: أنجوستياس، هل أضع أحرف اسم بيبي الأولى؟

أنجوستياس *[بجفاف]*: لا.

مجدالينا *[تنادي من خارج المسرح على أديلا]*: أديلا، ألن تأتي؟

أميليا: لعلها ممددة على سريرها.

بونثيا: شيء خطأ في هذه الفتاة. أراها قلقة مرتعدة خائفة ـ كأن سحلية في صدرها.

مارتيريو: لا شيء خطأ لديها أكثر مما لدينا كلنا.

مجدالينا: كلنا ما عدا أنجوستياس.

أنجوستياس: أنا بخير، وأية واحدة لا يعجبها هذا تنفلق.

مجدالينا: علينا كلنا أن نقر أن أروع ما فيكِ هو قوامك وذوقك.

أنجوستياس: لحسن الحظ أنني سرعان ما سأخرج من هذا الجحيم.

مجدالينا: قد لا تخرجين!

مارتيريو: كفى عن هذا الكلام!

أنجوستياس: إضافة الى أن دوطة جيدة أفضل من عينين داكنتين في وجه امرأة!

مجدالينا: كل ما تقولينه يدخل في أذن ويخرج من الأخرى.

أميليا *[إلى بونثيا]*: افتحي باب الفناء وانظري ما إذا أمكننا استنشاق قليل من النسيم.

[بونثيا تفتح الباب]

مارتيريو: ليلة أمس، لم أستطع النوم بسبب الحرارة.

أميليا: ولا أنا.

مجدالينا: نهضتُ طلباً لقليل من الهواء. كانت في السماء سحابة سوداء وسقطت بضع قطرات.

بونثيا: كانت الساعة الواحدة صباحاً وبدا أن الأرض تنفث ناراً. كانت أنجوستياس مازالت عند النافذة مع بيبي.

مجدالينا *[بسخرية]*: حتى تلك الساعة! متى ذهب؟

أنجوستياس: لماذا تسألين، إذا كنت رأيته؟

أميليا: لا بد أنه ذهب في حوالي الواحدة والنصف.

أنجوستياس: نعم. كيف عرفت؟

أميليا: سمعته يسعل وسمعتَ وقع حوافر مُهره.

بونثيا: لكنني سمعته يغادر في حوالي الرابعة.

أنجوستياس: لا بد أنه شخص آخر!

بونثيا: لا، أنا متأكدة من هذا.

أميليا: ذلك ما بدا لي أنا أيضاً.

مجدالينا: ذلك غريب جداً!

[صمت]

بونثيا: إسمعي يا أنجوستياس، ماذا قال لك في أول مرة اقترب فيها من نافذتك؟

انجوستياس: لا شيء. ماذا كان يجب أن يقول؟ مجـرد كلام.

مارتيـريو: من الغـريب تماماً أن يلتـقي شـخصـان، لا يعـرف أحدهما الاخر، عند نافذة فجأة ويرتبطان بخطبة.

انجوستياس: حسناً، أنا لا أبالي.

أميليا: كنت سأستغرب أنا هذا الى حد كبير جداً.

انجوستياس: لا، لأن الرجل حينما يقترب من نافـذة، يعرف، من خـلال الناس المشغـولين الذين يأتون ويذهبون ويحـضرون ويحملون، بأنه سيتلقى "نعم".

مارتيريو: حسناً، لكن، لا بد أن يسألكِ.

انجوستياس: طبعاً.

أميليا *[في فضول]*: وكيف سألك؟

انجوستيـاس: مـاذا، ليس بطريَقـة معـينة: "أنت تعلمين أنني وراءك. أنا بحاجة الى امرأة طيبة جيدة التربية، وتلَك هي أنتِ ـ إذا كانَ هذا مقبولاً".

أميليا: هذه الأمور تربكني.

انجوستياس: هي تربكني أنا أيضاً، لكن، لا بد أن تمر بها المرأة.

بونثيا: وهل قال أي كلام أكثر من هذا؟

انجوستياس: نعم، قام بكل الكلام.

مارتيريو: وأنتِ؟

أنجوستياس: لم أستطع ترديد كلمة. كاد قلبي يقفز خارجاً من فمي. كانت أول مرة أبقى فيها ليلاً منفردة مع رجل.

مجدالينا: ورجل وسيم كهذا.

أنجوستياس: إنه ليس سيىء المظهر!

بونثيا: تلك أمور تحدث بين ناس لديهم فكرة عن كيفية إدارة الأمور، ناس يتكلمون ويقولون ويحركون أيديهم. في أول مرة قَدم زوجي إفارستو قصير الذيل الى نافذتي... ها! ها! ها!

أميليا: ماذا حَدث؟

بونثيا: كان الظلام دامساً. رأيته قادماً واقترب مني وقال: " مساء الخير ". قلت: " مساء الخير ". ثم ظللنا كلانا صامتين لما يزيد عن نصف ساعة. وانصبّ العرق الى أسفل جسدي. ثم اقترب إفارستو أكثر فأكثر كأنه أراد أن ينعصر وينفذ من بين القضبانَ وقال بصوت خافت جداً ـ " اقتربي ودعيني أتحسسك! "

[يضحكن جميعاً. تقف أميليا وتجري إلى الباب وتنظر منه]

أميليا: آي، ظننت أن أمي قادمة!

مجدالينا: ماذا كانت ستفعل بنا!

[يواصلن الضحك]

أميليا: هس ـ س ـ س! ستسمعنا.

بونثيا: ثم تصرّف تصرفاً رزيناً جداً. بدلاً من أن يفكر بفكرة أفضل، راح يربي الطيور إلى أن مات. أنتن لم تتزوجن، لكن من الجيد أن تعرفن، على أية حال، أن الرجل، بعد أسبوعين من

الزفاف، يتخلى عن السرير لمائدة الطعام، ثم يتخلى عن المائدة للحانة، والمرأة التي لا يعجبها هذا يمكنها أن تتعفن، باكية في ركن.

أميليا: أعجبك هذا.

بونثيا: تعلمتُ كيف أُدبّر أمري!

مارتيريو: هل صحيح أنك ضربته أحياناً؟

بونثيا: نعم، وكدت أقلع إحدى عينيه ذات مرة!

مجدالينا: كل النساء يجب أن يكن كذلك.

بونثيا: أنا واحدة من مدرسة أمك. ذات مرة، لا أدري ما قاله لي، فقتلتُ عندئذٍ كل طيوره ـ بالمدق!

[يضحكن]

مجدالينا: أديلا، يا طفلة! لا تضيّعي هذا.

أميليا: أديلا.

[صمت]

مجدالينا: سأذهب لأرى.

[تخرج]

بونثيا: تلك الطفلة مريضة!

مارتيريو: طبعاً. هي قلما تنام!

بونثيا: ماذا تفعل إذن؟

مارتيريو: كيف أعرف ما تفعله؟

بونثيا: لعلك تعرفين أفضل مما نعرف، فأنت تنامين وجدار يفصل بينكما.

انجوستياس: الحسد يأكل الناس.

أميليا: لا تبالغي.

انجوستياس: أرى هذا في عينيها. لها نظرات امرأة مهووسة.

مارتيريو: لا تتكلمي عن نساء مهووسات. هذا مكان لا يسمح لكنّ فيه أن تتفوهن بتلك الكلمة.

[تدخل مجدالينا وأديلا]

مجدالينا: ألم تقولي إنها كانت نائمة؟

أديلا: جسمي يؤلمني.

مارتيريو *[بمعنى خفي]*: ألم تنامي جيداً ليلة أمس؟

أديلا: نعم.

مارتيريو: إذن؟

أديلا *[بصوت عال]*: أتركنني وشأني. صاحية أم نائمة، هذا ليس شأنكن. سأفعل كل ما أشاء بجسدي.

مارتيريو: أنا مهتمة بك فقط!

أديلا: مهتمة؟ ـ فضولية! ألم تكنّ تخطن؟ حسناً، واصلن! أتمنى أن أكون خفيّة عن الأنظار حتى أدخل غرفة وأخرج منها دون أن يسألني أحد إلى أين أنا ذاهبة!

خادم *[تدخل]*: برناردا تناديكن. الرجل مع المخرمات هنا.

[يخرجن كلهن ما عدا أديلا وبونثيا، وحين تغادر مارتيريو، تنظر بثبات إلى أديلا]

أديلا: لا تنظري إليّ هكذا! إذا أردت، سأعطيك عينيّ، لأنهما أنضر، وظهري لتقوّمي به حدبتك تلك، لكن، أنظري في الاتجاه

الآخر حين أمرّ بك.

بونشيا: أديلا، إنها أختك، إضافة إلى أنها تحبك أكثر من الأخريات!.

أديلا: إنها تتبعني إلى كل مكان. وأحياناً، تطل في غرفتي لترى إن كنتُ نائمة. إنها لا تدعني أتنفس، ودائماً: "سيىء جداً لذلك الوجه!" "سيىء جداً لذلك الجسد! سيضيع سدى!" لكن، لن أدع هذا يحدث. سيكون جسدي لمن أختاره.

بونشيا *[تلمّح بصوت خافت]*: لـ بيبي إلـ رومانو، لا؟

أديلا *[مرتعبة]*: ماذا تعنين؟

بونشيا: ما قلته يا أديلا.

أديلا: إخرسي!

بونشيا: *[بصوت عال]*: ألا ترين أنني لاحظت؟

أديلا: إخفضي صوتك!

بونشيا: إذن، إنسي ما تفكرين فيه!

أديلا: ماذا تعرفين؟

بونشيا: نحن العجائز نرى من خلال الجدران. أين تذهبين حين تنهضين في الليل؟

أديلا: ليتك كنت عمياء!

بونشيا: لكن رأسي ويداي مليئة بالأعين، حيث يتعلق الأمر بشيء كهذا. قد أستطيع أن أحزر ما هي نواياك. لماذا جلست شبه عارية عند نافذتك، والنور مشتعل والنافذة مفتوحة حين مر بيبي في الليلة الثانية التي جاء فيها ليتكلم مع أختك؟

أديلا: هذا ليس صحيحاً!

بونثيا: لا تكوني طفلة! أتركي أختك وشأنها. إذا أعجبك بيبي الـ رومانو، احتفظي بهذا السر لنفسك.

[أديلا تبكي]

ثم، مَنْ قال إنك لا تستطيعين أن تتزوجيه؟ أختك أنجوستياس مريضة. وستموت مع أول طفل. ضيّقة الحوض عجوز ـ وأنا أعرف من تجاربي أنها ستموت. عندئذ، سيفعل بيبي ما يفعله كل الأرامل في هذه الأطراف من البلاد: سَيتزوج أصغر وأجمل الأخوات، وهذه أنت. عيشي على هذا الأمل، إنسيه، أي شيء؛ لكن لا تعارضي قانونَ الله.

أديلا: هس!

بونثيا: لن أهسّ!

أديلا: اهتمي بشأنك. يا متطفلة، يا خائنة!

بونثيا: سألتصق بك كظل!

أديلا: بدلاً من أن تنظفي البيت ثم تأوي إلى فراشك وتصلي على الموتى، تتسللين في أرجاء المكان كزنجية عجوز وتحشرين أنفك بين الرجال والنساء ـ حتى تتمكني من أن تهذي حولهم.

بونثيا: أنا أتابع الرقابة؛ حتى لا يبصق الناس حين يمرون ببابنا.

أديلا: يا للحنان الهائل الذي تكنينه فجأة لأختي؟

بونثيا: أنا لا أكنّ أي حنان لأي واحدة منكن. أنا أريد أن أعيش في بيت شريف. أنا لا أريد أن ألطخ بالقذارة في شيخوختي!

أديلا: وفري نصائحك. فات الأوان. فلن أتخطاك أنت، أنت الخادمة، بل سأتخطى أمي لأطفىء هذه النار التي تشتعل في ساقيّ وفمي. ماذا يمكنك قوله عني؟ أن أغلق علي باب غرفتي ولا أفتح الباب؟ ألاّ أنام؟ أنا أذكى منك! أنظري إنْ كنت تستطيعين الإمساك بالأرنب البري بيديك.

بونثيا: لا تتحديني يا أديلا، لا تتحديني! لأنني أستطيع أن أصيح، وأشعل الأنوار، وأدق الأجراس.

أديلا: أحضري إذن أربعة آلاف صاروخ أصفر واطلقيها على جدران الفناء. لن يستطيع أحد أن يوقف ما سيحدث.

بونثيا: يعجبك إلى ذلك الحد؟

أديلا: إلى ذلك الحد! وإذ أنظر في عينيه، يبدو لي أنني أشرب دمه ببطء.

بونثيا: لن أستمع إليك.

أديلا: حسناً، عليك أنَ تسمعيني! كنت أخاف منكِ، لكنني الآن أقوى منك!

[تدخل أنجوستياس]

أنجوستياس: دائماً تتجادلان!

بونثيا: تماماً؟ هي تصرّ في كل هذا الحر على أن أخرج لأشتري لها من الدكان ما لا أدري ما هو؟

أنجوستياس: هل اشتريت لي زجاجة العطر؟

بونثيا: أغلى زجاجة. ومَسحوق الوجه. وضعتهما على الطاولة في غرفتك.

[تخرج أنجوستياس]

أديلا: واهدأي!

بونثيا: سنرى!

[تدخل مارتيريو وأميليا]

مارتيريو *[مخاطبة أديلا]*: هل رأيت المخرّمات؟

أميليا: مخرّمات ملاءات زفاف أنجوستياس جميلة.

أديلا *[إلى مارتيريو التي تحمل بعض المخرّمات]*: وهذه؟

مارتيريو: إنها لي. لقميص نوم.

أديلا *[بسخرية]*: يحتاج الإنسان إلى حس بالفكاهة هنا!

مارتيريو *[بلهجة ذات معنى]*: لكن، لي أنا فقط لأنظر إليه. لا داعي إلى أن أعرض نفسي أمام أحد.

بونثيا: لا أحد رآنا في قمصان النوم أبداً.

مارتيريو *[بلهجة ذات معنى، ناظرة إلى أديلا]*: أحياناً، لا يروننا. لكنني أحب الملابس الداخلية. لوكنت غنية، لخطتها من قماش هولندي. هذا أحد الأذواق القليلة الذي لم أحققه.

بونثيا: هذه المخرّمات مناسبة لطواقي الرضّع وأردية التعميد. أنا لم أقدر أبداً على اقتنائها. الآن، لنرَ إذا كانت أنجوستياس ستستعملها لأطفالها. حالما تشرع في إنجاب أطفال، سيبقونها على قدميها تجري ليل نهار.

مجدالينا: أنا لا أنوي أن أخيط درزة فيها.

أميليا: وأقل من هذا بكثير تربية أبناء غريب. أنظري إلى جيراننا على الجانب الآخر من الطريق - يضحون لأجل أربعة

أطفال.

بونثيا: هم خير منكن. فهم يضحكون على الأقل ويمكنكن أن تسمعنهم يتشاجرون.

مارتيريو: حسناً، إذهبي واشتغلي لديهم إذن.

بونثيا: لا، القدر أرسلني إلى دير الراهبات هذا!

[تسمع أجراس بعيدة كأنما تأتي من وراء سُمك عدة جدران]

مجدالينا: إنهم الرجال يعودون من العمل.

بونثيا: كانت الساعة الثالثة منذ دقيقة واحدة.

مارتيريو: مع هذه الشمس!

أديلا *[تجلس]*: آي! لو نستطيع فقط أن نخرج إلى الحقول أيضاً!

مجدالينا *[تجلس]*: كل إنسان يفعل ما عليه فعله!

مارتيريو *[تجلس]*: تلك هي الحال!

أميليا *[تجلس]*: آي!

بونثيا: لا توجد سعادة كالسعادة في الحقول في هذا الوقت من السنة تماماً. في صباح أمس، وصل الحصادون. أربعون أو خمسون شاباً جميلاً.

مجدالينا: من أين أتوا هذه السنة؟

بونثيا: من مكان بعيد، بعيد. قدموا من الجبال! سعداء! كأشجار متأثرة بالطقس! يصيحون ويقذفون الحجارة! ليلة أمس، وصلت امرأة تلبس الترتر وترقص على أكورديون، فاتفق معها خمسة عشر فتى ليأخذوها إلى كرم الزيتون. وقد رأيتهم من بعيد. كان الذي تكلم معها غلاماً بعينين خضراوين ـ محكم الربط

كحزمة قمح.

أميليا: حقاً؟

أديلا: هل أنت متأكدة؟

بونشيا: قبل سنَين مضت، جاءت واحدة أخرى من تلك النساء الى هنا، فأعطيت أنا نفسي ابني الأكبر نقوداً حتى يتمكن من الذهاب إليها. الرجال يحتاجون إلى أشياء مثل تلك.

أديلا: كل شيء يُغتفر لهم.

أميليا: أن تولدي امرأة هو أسوأ عقاب ممكن.

مجدالينا: حتى أعيننا ليست لنا.

[يسمع غناء بعيد، ثم يقترب أكثر فأكثر]

بونشيا: ها هم. يغنون أغنية جميلة.

أميليا: يخرجون للحصاد الآن.

جوقة: انطلق الحصادون
يبحثون عن قمح ناضج؛
سينتزعون قلوب
أي فتيات يقابلوهن.

[تسمع أصوات دفوف وطبول. صمت. الكل ينصت بصمت تقطعه الشمس]

أميليا: وهم لا يبالون بالشمس!

مارتيريو: إنهم يحصدون بين ألسنة اللهب.

أديلا: كم أود أن أكون حصادة حتى أستطيع أن آتي وأذهب كما أشاء. عندئذ، نتمكن من أن ننسى ما يأكلنا كلنا.

مارتيريو: ماذا لديك لتنسيه؟

أديلا: كل واحدة منا لديها شيء.

مارتيريو *[بشدة]*: كل واحدة!

بونثيا: هدوءاً! هدوءاً!

جوقة *[من بعيد جداً]*

إفتحن أبوابكن ونوافذكن على وسعها،
أنتن يا فتيات تعشن في البلدة
الحصّاد يطلب منكن وروداً
ليزين بها تاجه.

بونثيا: يا لها من أغنية!

مارتيريو *[بحنين]*: إفتحن أبوابكن ونوافذكن على وسعها،
أنتن يا فتيات يعشن في البلدة.

أديلا *[بعاطفية]*: الحصّاد يطلب وروداً
ليزين بها تاجه.

[تبتعد الأغنية أكثر]

بونثيا: إنهم يدورون حول الركن الآن.

أديلا: لنشاهدهم من نافذة غرفتي.

بونثيا: إحذري أن تفتحي مصراع الخشب كثيراً جداً، فمن المحتمل أن يدفعوها ليروا مَنْ تنظر إليهم.

[تغادر الثلاث. تظل مارتيريو جالسة على كرسي منخفض ورأسها بين يديها]

أميليا *[مقتربة منها]*: ما بك؟

مارتيريو: الحرارة تمرضني.

أميليا: ولا أكثر من هذا؟

مارتيريو: أتمنى أن يكون الشهر نوفمبر، أيام المطر، الصقيع ـ أي شيء غير هذا الصيف غير المنتهي.

أميليا: سينقضي ويعود ثانية.

مارتيريو: طبعاً.

[صمت]

في أية ساعة نمت ليلة أمس؟

أميليا: لا أعرف. أنا أنام كجذع شجرة. لماذا؟

مارتيريو: لا شيء. ظننت أنني سمعت شخصاً في الفناء.

أميليا: نعم؟

مارتيريو: في وقت متأخر جداً.

أميليا: ولم تخافي؟

مارتيريو: لا. سمعت هذا في ليال أخرى.

أميليا: يحسن بنا أن نظل علىّ حذر! ألا يمكن أن يكونوا الرعاة.

مارتيريو: الرعاة يأتون في السادسة.

أميليا: قد يكون بغلاً صغيراً غير مستأنس.

مارتيريو *[لنفسها، بمعنى مزدوج]*: ذلك هو! ذلك هو! بغل صغير غير مستأنس.

أميليا: علينا أن نضع حراسة.

مارتيريو: لا. لا. لا تقولي شيئاً. قد أكون تخيلت هذا فقط.

أميليا: قد يكون.

[صمت. تشرع أميليا في الخروج]

مارتيريو: أميليا!

أميليا *[عند الباب]*: ماذا؟

[صمت]

مارتيريو: لا شيء.

[صمت]

أميليا: لماذا ناديتني؟

[صمت]

مارتيريو: انطلق مني فقط. لم أعنِ أن أنادي.

[صمت]

أميليا: استلقي قليلاً.

أنجوستياس *[تدخل بعنف، بطريقة تبين تناقضاً كبيراً مع السكون السابق]*:

أين صورة بيبي تلك التي وضعتُها تحت وسادتي؟ أية واحدة منكن أخذتها؟

مارتيريو: لا واحدة منا.

أميليا: تظنين أنه قديس بارثولوميو فضي.

أنجوستياس: أين الصورة؟

[تدخل بونثيا ومجدالينا وأديلا]

أديلا: أية صورة؟

أنجوستياس: واحدة منكن أخفتها عني.

مجدالينا: هل وصلت بك الوقاحة إلى أن تقولي هذا؟

أنجوستياس: وضعتُها في غرفتي، وهي الآن ليست هناك.

مارتيريو: لكن، ألا يمكن أنها قفزت خارجة إلى الفناء في

منتصف الليـل؟ فـ بيبي يحب أن يتجول في ضوء القمر.

أنجوستياس: لا تمزحي معي! حين يأتي، سأخبره.

بونثيا: لا تفعلي ذلك! فالصورة ستظهر.

[تنظر إلى أديلا]

أنجوستياس: أود أن أعرف أيكن أخذتها.

أديلا *[تنظر إلى مارتيريو]*: واحدة أخذتها! لكن، لست أنا!

مارتيريو *[بلهجة ذات معنى]*: طبعاً لست أنت!

برناردا *[تدخل برناردا مع عصاها]*: أي فضيحة تجري في بيتي في الحرارة الثقيل؟ لا بد أن الجارات تلصقن آذانهن بالجدران.

أنجوستياس: سرقن صورة حبيبي!

برناردا *[بعنف]*: منَ؟ مَن؟

أنجوستياس: هن سرقنها!

برناردا: أيكن؟

[سكون]

أجبنني!

[سكون. إلى بونثيا] فتشى غرفهن! إبحثي في فراشهن. هذا يأتي من عدم ربطكن بشكائم أقصر. لكنني سأعلمكن الآن!

[إلى أنجوستياس]

هل أنت متأكدة؟

أنجوستياس: نعم.

برناردا: هل فتشت المكان كله؟

أنجوستياس: نعم ياَ أمي.

[يقفن كلهن في سكون مرتبك]

برناردا: في نهاية حياتي ـ تجرعنني أمرّ سم تعرفه أم.

[إلى بونثيا] هل وجدتِها؟

بونثيا: ها هي!

برناردا: أين وجدتها؟

بونثيا: كانت...

برناردا: قولي! لا تخافي.

بونثيا *[باستغراب]*: بين الملاءات في سرير مارتيريو.

برناردا *[إلى مارتيريو]*: أهذا صحيح؟

مارتيريو: صحيح.

برناردا *[تتقدم نحوها، وتنهال عليها بعصاها]*: ستصلين إلى نهاية سيئة، أنت يا منافقة! يا مثيرة المشاكل!

مارتيريو *[بعنف]*: لا تضربيني يا أمي!

برناردا: قدر ما أريد!

مارتيريو: إن تركتك! هل تسمعينني؟ إبعدي عني!

بونثيا: لا تقللي أدبَك على أمك!

أنجوستياس *[ممسكة ببرناردا]*: دعيها من فضلك!

برناردا: حتى ولا دموع في عينيك!

مارتيريو: لن أبكي لأسرّك فقط!

برناردا: لماذا أخذت الصورَة؟

مارتيريو: ألا أمزح مَع أختي؟ لأي غرض آخر أريدها؟

أديلا *[تقفز الى الأمام، مليئة بالغيرة]*: لم تكن مزحة! أنت لم تحبي

أبداً أن تمزحي. كان شيئاً آخر ينفجر في صدرها ـ محاولاً الخروج. أقرّي به بصراحة الآن.

مارتيريو: هس، ولا تجبريني على الكلام؛ فإذا اضطررت إلى الكلام، ستنطبق الجدران بعضها على بعض خزياً.

أديلا: لسان شرير لا يكف أبداً عن تلفيق أكاذيب.

برناردا: أديلا!

مجدالينا: أنتما مجنونتان.

أميليا: وأنتن ترجمننا بشكوكن الشريرة.

مارتيريو: لكن بعض الأخريات يقدمن على أعمال أكثر شراً!

أديلا: حتى يتقدمن فجأة عاريات تماماً ويجرفهن النهر.

برناردا: حقودة!

انجوستياس: ليست غلطتي أن بيبي إلـ رومانو اختارني أنا!

أديلا: لمالك!

انجوستياس: أمي!

برناردا: سكوت!

مارتيريو: حقولك وبساتينك.

مجدالينا: ذلك عدل فقط.

برناردا: أقول: سكوت! رأيتُ العاصفة قادمة لكنني لم أفكر بأنها ستنفجر بهذه السرعة. أوه، أي انهيار كراهية قذفتنه في قلبي! لكنني لم أطعن في السن بعد ـ لدي خمس سلاسل، وهذا البيت الذي بناه أبي، حتى ولا الأعشاب ستعرف أساي. أخرجن من هنا!

[يخرجن. تجلس برناردا بأسى. تقف بونثيا لصق الجدار. تتماسك برناردا، وتخبط الأرضية]

لا بد أن أشعرهن بثقل يدي! برناردا، تذكري واجبك!

بونثيا: هل أتكلم؟

برناردا: تكلمي. آسفة لأنكِ سمعت. الغريب هو خارج العائلة دائماً.

بونثيا: ما رأيتُه، رأيته.

برناردا: لا بد أن تتزوج أنجوستياس على الفور.

بونثيا: بالتأكيد. علينا أن نبعدها عن هنا.

برناردا: ليست هي، هو!

بونثيا: طبعاً. هو مَنْ يجب إبعاده من هنا. لقد حسبتِ حساب كل شيء.

برناردا: أنا لا أفكر، هناك أشياء يجب ألا نفكر فيها ولا يمكننا التفكير فيها. أنا أصدر أوامر.

بونثيا: وتعتقدين أنه سيرضى بالابتعاد؟

برناردا *[تنهض]* ما الذي تتخيلنه الآن؟

بونثيا: سيتزوج أنجوستياس طبعاً.

برناردا: تكلمي. أنا أعرفك جيداً إلى حد أنني أرى بأن سكينك مشرعة لتطعنني.

بونثيا: لم أعرف أبداً أن تحذيراً يمكن أن يدعى جريمة.

برناردا: ألديك "تحذير" لي؟

بونثيا: أنا لا أوجه أية اتهامات يا برناردا. أنا أخبرك فقط بأن

تفتحي عينيك وسترين!

برناردا: أرى ماذا؟

بونثيا: لقد ظللت دائماً ذكية يا برناردا. لقد رأيت خطايا الناس الآخرين على بُعد مَائة فرسخ. وفي أوقات كثيرة آمنت بأنك تقرأين العقول. لكن أطفالك هم أطفالك، وأنتِ الآن عمياء.

برناردا: هل تتكلمين عن مارتيريو؟

بونثيا: حسناً، نعم ـ عن مارتيريو...

[بفضول]

أتساءل لماذا خبأتْ الصورة؟

برناردا *[تحمي ابنتها]*: بعد كل هذا، تقول إنها كانت مزحة. أي شيء آخر يمكن أن تكون؟

بونثيا *[بازدراء]*: هل تصدقين ذلك؟

برناردا *[بحدة]*: أنا لا أصدق هذا فقط. هي حقاً مزحة.

بونثيا: يكفي هذا. نحن نتكلم عن عائلتك. لكن، لو كنا نتكلم عن جارتك عبر الطريق، ماذا سيكون الكلام؟

برناردا: ها أنت بدأت الآن تسحبين حدّ السكين وتخرجينها.

بونثيا *[بقسوة دائماً]*: لا يا برناردا. شيء خطير يحدث الآن هنا. أنا لا أريد أن ألقي اللوم على كتفيك، لكنك لم تعطي بناتك أية حرية أبداً. مارتيريو توّاقة إلى الحب، أنا لا أبالي بما تقولين. لماذا لم تزوجيها إنريكي أوماناس؟ لماذا أرسلت إليه رسالة، في نفس اليوم الذي أراد أن يأتي فيه إلى نافذتها، تطلبَين فيها منه ألاّ يأتي؟

برناردا *[بصوت عال]*: سأفعل هذا ألف مرة أخرى! لن يختلط

دمى بدم أوماناس طالما أنا على قيد الحياة! كان أبوه راعي غنم.

بونثيا: وأنت ترين الآن ما يحدث لك مع هذه الكبرياء!

برناردا: لدي هذه الكبرياء لأن من إمكانياتي أن تكون لدي. وليست لديك كبرياء لأنك تعرفين من أين انحدرت!

بونثيا[*بكراهية*]: لا تذكريني! أنا عجوز الان. وقدَ ظللت دائماً ممتنة لحمايتك.

برناردا[*تتجرأ*]: أنت لا تبدين هكذا!

بونثيا [*بكراهية، خلفَ نعومة*]: ستنسى مارتيريو هذا.

برناردا: وإذا لم تنسه ـ ستكون حالها أسوأ. أنا لا أعتقد أن هذا "أمراً خطيراً جداً" يجري هنا. لا شيء يجري هنا. أنت فقط ترغبين في أن يجري شيء هنا! فلو جرى شيء في يوم من الأيام، تأكدي من أنه لن يتجاوز هذه الجدران.

بونثيا: أنا لست متأكدة من هذا! في البلدة ناس يقرأون الأفكار الخفية عن بُعد أيضاً.

برناردا: كم تودين أن تريني وتري بناتي في طريقنا الى بيت دعارة!

بونثيا: لا تعرف أية امرأة مصيرها!

برناردا: أنا أعرف مصيري! ومصير بناتي! بيت الدعارة مصير امرأة معينة، ماتت...

بونثيا [*بعنف*]: برناردا، احترمي ذكرى أمي!

برناردا: إذن، لا تهاجميني بأفكارك الشريرة!

[*صمت*]

بونثيا: يحسن بي أن أبقى خارج كل شيء.

برناردا: ذلك ما يجب أن تفعليه. اشتغلي وأبقي فمك مغلقاً. واجب كل مَنْ يشتغل في سبيل عيشه.

بونثيا: لكننا لا نستطيع أن نفعل هذا. ألا ترين أنه يحسن بـ بيبي أن يتزوج مارتيريو أو... أديلا؟

برناردا: لا، لا أرى هذا.

بونثيا *[بلهجة ذات معنى]*: أديلا! إنها حبيبة بيبي الحقيقية.

برناردا: الأمور لا تجري أبداً بالطريقة التي نريدها!

بونثيا: لكنه عمل شاق أن نحرفها عن مسارها المقرر. فارتباط بيبي بـ أنجوستياس يبدو لي خطأ ـ وللناس الاخرين ـ وحتى للريح. مَنْ يعرف إن كانوا سيحصلون على ما يريدونه؟

برناردا: ها أنت تعودين ثانية! تتسللين نحوي ـ مثيرة فيّ أحلاماً سيئة. لكنني لن أصغي إليكِ، فإن تحقق كل ما تقولينه ـ سأخمش وجهك.

بونثيا: أخيفي شخصاً اخر بهذا.

برناردا: من حسن الحظ أن بناتي يحترمنني ولم يعصين إرادتي أبداً.

بونثيا: هذا صحيح! لكن، حالما يفلتن، سيطرن إلى قمم أسطح البيوت.

برناردا: وسأنزلهن بالحجارة!

بونثيا: أوه نعم! أنت دائماً كنت أشجع النساء!

برناردا: لقد استمتعتَ دائماً بقتالَ جيد!

بونثيا: لكن، أليس الناس غريبين؟ لا بد أن تري حماس أنجوستياس لحبيبها، في سنها! وهو يبدو مفتوناً جداً أيضاً. أمس، أخبرني ابني الأكبر بأنهما، حين مر من هنا مع الثيران في الساعة الرابّعة والنصف صباحاً، كانا لا يزالان يتحادثان.

برناردا: في الرابعة والنصف؟

أنجوستياس *[تدخل]*: هذا كذب!

بونثيا: ذلك ما أخبرني به.

برناردا *[إلى أنجوستياس]*: تكلمي!

أنجوستياس: منذ أكثر من أسبوع وبيبي يغادر نافذتي في الواحدة. ليقصف الله عمري إن كنتُ أكذب!

مارتيريو *[تدخل]*: سمعته يغادر في الرابعة أيضاً.

برناردا: لكن، هل رأيته بعينيك؟

مارتيريو: لم أرد أن أطَلّ إلى الخارج. ألستما تتكلمان الآن من خلال النوافذ الجانبية؟

أنجوستياس: نحن نتكلم من خلال نافذة غرفتي.

[تظهر أديلا عند الباب]

مارتيرو: إذن...

برناردا: ماذا يجري هنا؟

بونثيا: إذا لم تتوخي الحذر، ستكتشفين الحقيقة! على الأقل، كان بيبي عند إحدى نَوافذك ـ وفي الرابعة صباحاً أيضاً.

برناردا: هل أنت متأكدة من ذلك؟

بونثيا: لا يمكنكَ أن تتأكدي من أي شيء في هذه الحياة!

أديلا: أمي، لا تصغي إلى مَن يريد لنا أن نفقد كل ما لدينا.

برناردا: أنا أعرف كيف أعتني بنفسي! إذا أراد سكان البلدة تلفيق شهادة زور ضدي، سيصطدمون بجدار حجر! لا تتكلم أية واحدة منكن عن هذا أبداً! أحياناً، يحاول الآخرون أن يثيروا موجة قذارة ليغرقونا.

مارتيريو: أنا لا أحب أن أكذب.

بونثيا: إذن، لا بد أن يوجد شيء.

برناردا: لن يوجد أي شيء. لقد ولدت لكي تكون عيناي مفتوحتَين دائماً. الآن، سأراقب دون أن أغمضهما حتى أموت.

انجوستياس: من حقي أن أعرف.

برناردا: ليس لديك أي حق سوى أن تطيعي. ولن ينقل أحد الكلام إلي وينقله عنيَ.

[إلى بونثيا]

لا تتدخلي في شؤوننا. لن يخطو أحد خطوة دون أن أعرف هذا.

خادم *[تدخل]*: في رأس الشارع حشد كبير، وكل الجيران خرجوا إلى أبوابهم!

برناردا *[إلى بونثيا]*: إجري، أنظري ماذا يحدث!

[البنات على وشك الجري خارجات]

إلى أين تذهبن؟ عرفتكن دائماً نساء مراقبات نوافذ ومنتهكات حرمة حدادكن. كلكن، إلى الفناء!

[يخرجن كلهن. تغادر برناردا. يسمع صراخ بعيد. تدخل مارتيريو وأديلا

وتصغيان، لا تجرؤان على الخطو إلى مسافة أبعد من الباب الأمامي]

مارتيريو: يمكنك أن تشكريني لأنني لم أفتح فمي.

أديلا: لكنتُ تكلمتُ أنا أيضاً.

مارتيريو: وما الذي كنت ستقولينه؟ أن ترغبي في شيء ليس كفعلك له!

أديلا: أنا أفعل ما أقدر عليه وما يناسبني. لقد أردتِ أنت أن تفعلي هذا، لكنك لم تقدري.

مارتيريو: لن تستمري زمناً طويلاً جداً.

أديلا: سيكون لي كل شيء!

مارتيريو: سأنتزعك من بين ذراعيه!

أديلا *[متوسلة]*: مارتيريو، أتركيني وشأني!

مارتيريو: لن تستحوذ عليه أية واحدة منا!

أديلا: إنه يريدني لبيته!

مارتيريو: رأيتُ كيف عانقك!

أديلا: لم أُرد أن يعانقني. كنت كأنني جررت بحبل.

مارتيريو: سأراك ميتة أولاً!

[تطلّ مجدالينا وأنجوستياس ناظرتين إلى الداخل. يتزايد اللغط. تدخل خادم مع برنارد. تدخل بونثيا أيضاً من غرفة أخرى]

بونثيا: برناردا!

برناردا: ماذا يحدث؟

بونثيا: ابنة لِبرادا، غير المتزوجة، وضعت طفلاً ولا أحد يعرف ابن مَنْ هو!

أديلا: طفل؟

بونشيا: ولتخفي عارها، قتلته وأخفته تحت الصخور، لكن الكلاب، التي لديها قلب أكبر من أغلب المسيحيين، حفرت عليه وأخرجته، كأن يد الله توجهها، وتركته عند بابها. الآن، هم يريدون قتلها. إنهم يجرونها في الشوارع ـ وعلى الدروب وعبر كروم الزيتون يأتي الرجال، صارخين فتهتز الحقول.

برناردا: نعم، ليأتوا كلهم حاملين أسواط زيتون ومقابض مجارف ـ ليأتوا كلهم ويقتلوها!

أديلا: لا، لن يقتلوها!

مارتيريو: نعم ـ ولنخرج نحن أيضاً!

برناردا: وكل مَن تفقد شرفها تدفع ثمنه.

[في الخارج، تسمع صرخات امرأة وصخب عنيف]

أديلا: لتهرب! لا تخرجن أنتن!

مارتيريو *[ناظرة الى أديلا]*: لتدفع ما هي مدينة به!

برناردا *[عند القوس]*: أنهوها قبل أن يأتي الحرس! ضعوا جمراً حيث ارتكبت الخطيئة!

أديلا *[تمسك ببطنها]*: لا! لا!

برناردا: أقتلوها! أقتلوها!

ستار

الفصل الثالث

أربعة جدران بيض، مشوبة بطلاء أزرق خفيف لفناء بيت برناردا ألبا الداخلي. فتحات الأبواب المضاءة بأنوار من داخل الغرف تلقي بوهج خفيف على خشبة المسرح.

[في الوسط، مائدة عليها مصباح زيت مظلل تأكل برناردا وبناتها حوله. تقوم لـ بونثيا على خدمتهن، و برودنثيا تجلس منفصلة عنهن. حين يرتفع الستار، يسود صمت مطبق يقطعه بين لحظة وأخرى صوت الأطباق وأدوات المائدة الفضية]

برودنثيا: أنا ذاهبة. لقد أطلتُ عليكم الزيارة.

[تنهض]

برناردا: لكن، انتظري يا برودنثيا. لا ترى إحدانا الأخرى أبداً.

برودنثيا: هل دقوا أجراس النداء الأخير للصلوات؟

بونثيا: ليس بعد.

[تجلس برودنثيا ثانية]

برناردا: وزوجك، كيف تسير أحواله؟

برودنثيا: كما هي.

برناردا: لم نره أبداً أيضاً.

برودنثيا: أنت تعرفين طباعه. منذ أن تشاجر مع إخوته على الميراث، لم يستعمل الباب الأمامي. إنه يضع سلماً ويتسلق الجدران الخلفية.

برناردا: إنه رجل حقيقي! وابنتك؟

برودنثيا: لم يغفر لها أبداً.

برناردا: إنه على حق.

برودنثيا: لا أدري ما أخبرك به. أنا أقاسي من هذا.

برناردا: فتاة عاصية تتحول من ابنة لتصبح عدواً.

برودنثيا: أنا أترك الماء يجري. العزاء الوحيد الباقي لي هو اللجوء إلى الكنيسة، لكن، لفقدي البصر، سأنقطع عنها حتى لا يسخر الأطفال مني.

[تُسمع خبطة ثقيلة على الجدران]

ما هذا؟

برناردا: الحصان الفحل. إنه محبوس في الحظيرة وهو يركل جدار البيت.

[تصيح]

قيدوه وأخرجوه الى الفناء.

[بصوت أخفت]

لابد أنه ساخن جداً.

برودنثيا: أتنوين أن تضعي المهرات الجديدة أمامه؟

برناردا: عند طلوع النهار.

برودنثيا: لقد عرفت كيف تزيدين ماشيتك.

برناردا: بفضل المال والكفاح.

بونثيا *[تقاطعها]*: ولديها أفضل قطيع في هذه الأنحاء. من العار أن تنخفض الأسعار.

برناردا: هل تريدين قليلاً من الجبن والعسل؟

برودنثيا: ليست لدي شهية.

[تُسمع الخبطة ثانية]

بونثيا: يا إلهي!

برودنثيا: لقد هزّ صدري!

برناردا *[تنهض بعنف]*: هل يجب أن أكـرر الطلب مـرتين؟ أخرجوه ليتمرغ على القش.

[صمت. ثم كأنها تتحدث إلى عامل الإسطبل]

حسناً إذن، أقفل على المهرات في الحظيرة، لكن، اتركوه طليقاً وإلاّ سيركل الجدران ويهدمها. *[تعود إلى المائدة وتجلس]* آي، يا لها من حياة!

برودنثيا: عليك أن تقاتلي كرجل.

برناردا: هو ذاك.

[تنهض أديلا عن المائدة]

إلى أين تذهبين؟

أديلا: لجرعة ماء.

برناردا *[بصوت عال]*: هاتي دورق ماء بارد.

[إلى أديلا] يمكنك أن تجلسي.

[أديلا تعود إلى الجلوس]

برودنثيا: وأنجوستياس. متى ستتزوج؟

برناردا: سيأتون ليطلبوها خلال ثلاثة أيام.

بونثيا: لا بد أنك سعيدة.

أنجوستياس: طبعاً.

أميليا *[إلى مجدالينا]*: لقد دلقت الملح!

مجدالينا: لن يكون حظك أسوأ مما هو الآن!

أميليا: إنه يجلب حظاً سيئاً دائمـاً.

برناردا: ذلك يكفي!

برودنثيا *[إلى أنجوستياس]*: هل أعطاكِ الخاتم؟

أنجوستياس: أنظري إليه.

[تمده إليها]

برودنثيا: جميل! ثلاث لآلىء. في أيامي، اللآلىء كـانت تعني الدموع!

أنجوستياس: لكن الأمور تغيّرت الآن.

أديلا: لا أظن هذا. الأمـور تحـمل نفس المعنى. خـواتم الخطبـة يجب أن تكون ماساً.

برودنثيا: المناسب أكثر من غيره!

برناردا: بلآلىء أو بلا لآلىء، الأمور حسب نيّة الإنسان.

مارتيريو: أو كما قدّر الله!

برودنثيا: أخبروني بأن أثاثك جميل.

برناردا: كلّف ستة عشر ألف ريال.

بونثيا *[تقاطع]*: أفضل قطعة هي الخزانة مع المرآة.

برودنثيا: أنا لم أر قطعة أثاث كتلك.

برناردا: كانت لدينا خزانة أدراج.

برودنثيا: المهم أن يكون كل شيء لما هو أفضل.

أديلا: وهذا ما لا تعرفينه أبداً.

برناردا: لا يوجد سبب يمنعه من أن يكون كذلك.

[تُسمع الأجراس من بعيد]

برودنثيا: النداء الأخير.

[إلى أنجوستياس]

سأعود لترينى ثيابك.

أنجوستياس: وقتما تشائين.

برودنثيا: طاب مساؤكن - ليبارككن الله!

برناردا: مع السلامة يا برودنثيا.

الفتيات الخمس *[في نفس الوقت]*: الله معك!

[صمت. تخرج برودنثيا]

برناردا: حسناً، لقد أكلنا.

[تنهضن]

أديلا: سأتمشى حتى البوّابة لأمدّد رجليّ وأستنشق قليلاً من هواء نقي.

[تجلس مجدالينا على كرسي منخفض وتميل إلى الجدار]

أميليا: سآتي معك.

مارتيريو: أنا أيضاً.

أديلا *[بكراهية محتواة]*: لن أضيع!

أميليا: الإنسان يحتاج إلى رفقة في الليل.

[تخرجن. تجلس برناردا. تنظف أنجوستياس المائدة]

برناردا: لقد أخبرتك مرة في السابق! أريد منك أن تتكلمي مع أختك مارتيريو. ما حدث حول الصورة كان مزحة ولا بد أن تنسيه.

أنجوستياس: أنتِ تعرفين أنها لا تحبني.

برناردا: كل منا يعرف ما تفكر فيه. وأنا لا أنقّب في قلب أي إنسان، لكنني أريد بناء جبهة طيبة والحفاظ على تناغم عائلي. تفهمين؟

أنجوستياس: نعم.

برناردا: إذن، سوّي ذلك.

مجدالينا *[تكاد تنام]*: إضافة إلى أنكِ سترحلين قريباً جداً.

[تستغرق في النوم]

أنجوستياس: ليس قريباً تماماً بالنسبة إليّ.

برناردا: في أية ساعة كففتما عن الكلام ليلة أمس؟

أنجوستياس: الثانية عشرة والنصف.

برناردا: عماذا يتكلم إليك بيبي؟

أنجوستياس: أجده شارد الذهن. إنه يتكلم إلي دائماً وكأنه يفكر في شيء آخر. وإذا سألته عن الأمر، يجيبني: " نحن الرجال لدينا ما يقلقنا ".

برناردا: ما كان عليك أن تسأليه، وحين تتزوجان، أقلي حتى من سؤاله. تكلمي إذا هو تكلم، وانظري إليه حين ينظر إليك. بتلك الطريقة ستسير أمورك سيراً حسناً.

أنجوستياس: لكن يا أمي، أظن أنه يخفي أشياء عني.

برناردا: لا تحاولي اكتشافها. لا تسأليه، وفوق كل شيء، لا تدعيه يراك تبكين أبداً.

أنجوستياس: يجب أن أكون سعيدة، لكنني لست سعيدة.

برناردا: الأمر سيان.

انجوستياس: في ليال عديدة، أراقب بيبي بإمعان من خلال قضبان النافذة، فيبدو ليَّ بأنه يذبل ـ كأنه مختفٍ في غمامة غبار مثل تلك الغمامات التي تثيرها قطعان الماشية.

برناردا: ذلك لأنك لست قوية فقط.

انجوستياس: آمل هذا!

برناردا: هل هو قادم الليلة؟

انجوستياس: لا، ذهب إلى المدينة مع أمه.

برناردا: حسناً، سنأوي إلى الفراش مبكرات. مجدالينا!

انجوستياس: إنها نائمة.

[تدخل أديلا ومارتيريو وأميليا]

أميليا: يا لها من ليلة حالكة!

أديلا: لا تستطيعين أن تري خطوتَين أمامك.

مارتيريو: ليلة صالحة للصوص، لأي شخص يحتاج إلى أن يختبىء.

أديلا: كان الحصان الفحل في وسط الحظيرة. أبيض. ضعف حجمه. يملأ الظلام.

أميليا: صحيح. كان مخيفاً. كشبح.

أديلا: للسماء نجوم كبيرة بحجم قبضات.

مارتيريو: هذه الفتاة حدّقتْ فيها حتى كادت تخلع رقبتها.

أديلا: ألا تحبينها في الأعلى هناك؟

مارتيريو: ما يجري فوق السطح لا يعني لي شيئاً. يداي مليئتان بما يجري تحتها.

أديلا: نعم، تلك هي الطريقة التي تجري بها معك الأمور!

برناردا: وتجري معك على نفس المنوال كما تجري معها.

أنجوستياس: تصبحن على خير.

أديلا: أتأوين إلى الفراش الآن؟

أنجوستياس: نعم، فـ بيبي لن يجيء الليلة.

[تخرج]

أديلا: أمي، لماذا نقول حينما تسقط نجمة أو يومض برق:

باربارة المقدّسة، تباركي عالياً
ليكن اسمك في السماء
بالماء المقدّس مكتوباً عالياً؟

برناردا: الناس القدماء يعرفون أشياء كثيرة نسيناها نحن.

أميليا: أنا أغمض عيني حتى لا أراها.

أديلا: أنا لا أفعل هذا. أنا أحب أن أرى ما هو هادىء، وما ظل هادئاً لسنين عديدة بلا انقطاع، وقد اشتعلت فيه نار.

مارتيريو: لكن هذه الأمور لا صلة لها بنا.

برناردا: ويحسن ألا نفكر فيها.

أديلا: يا لها من ليلة جميلة! أحب أن أظل صاحية حتى وقت متأخر جداً وأتمتع بالنسيم الذي يهب من الحقول.

برناردا: لكن عليكن أن تأوين إلى الفراش. مجدالينا!

أميليا: لقد غفت منذ لحظات.

برناردا: مجدالينا!

مجدالينا *[منزعجة]*: أتركيني وشأني!

برناردا: إلى الفراش!

مجداالينا *[تنهض بمزاج سيء]*: لا تتيحي لأي إنسان لحظة سلام!

[تذهب متذمرة]

أميليا: تصبحن على خير!

[تخرج]

برناردا: أنتما الاثنتان، إذهبا أيضاً.

مارتيريو: كيف حدث ألاّ يأتي حبيب أنجوستياس الليلة؟

برناردا: ذهب في رحلة.

مارتيريو *[تنظر إلى أديلا]*: آه!

أديلا: سأراك في الصباح.

[تخرج. تشرب مارتيريو بعض الماء وتخرج ببطء، ناظرة إلى الباب المفضي إلى الفناء. تدخل بونثيا]

بونثيا: ألا تزالين هنا؟

برناردا: أتمتع بهذا الهدوء دون أن أرى في أي مكان "الأمر الخطير جداً" الذي يحدث هنا ـ حسب رأيك.

بونثيا: برناردا، لنكفّ عن الحديث عن هذا.

برناردا: في هذا البيت، لا يوجد سؤال جوابه نعم أو لا. يقظتي تتولى أمر أي شيء.

بونثيا: لا شيء يحدث في الخارج. ذلك صحيح، تماماً. بناتك يتصرفن ويعشن كأنهن ملصقات داخل خزانة. لكن، لا أنت ولا أي مخلوق آخر يستطيع أن يواصل الرقابة داخل قلب إنسانَ.

برناردا: بناتي يتنفسن بهدوء تام.

بونثيا: ذلك هو شأنك، حيث أنك أمهن. أما أنا، فلدي ما يكفي من عمل على خدمتكم.

برناردا: نعم، تحوّلت إلى الهدوء الآن.

بونثيا: أنا أحافظ على مكاني ـ ذلك كل شيء.

برناردا: المشكلة أنه ليس لديك ما تتكلمين عنه. لو وجد عشب في هذا البيت، لجعلت شغلكَ الشاغل أن تطلقي غنم الجيران ليرعوا هنا.

بونثيا: أنا أخفي أكثر مما تظنين.

برناردا: أمازال إبناك يريان بيبي في الرابعة صباحاً؟ أما زالا يرددان ترتيلات هذا البيت الشريرة؟

بونثيا: إنهما لا يقولان شيئاً.

برناردا: لأنهما لا يستطيعان. لأنه لا يوجد شيء هنا ليغرزا أسنانهما فيه. وكل هذا بسبب أنني أفرض رقابة مستمرة!

بونثيا: برناردا، لا أريد أن أتكلم عن هذا لأنني أخاف مما ستفعلينه. لكن، لا تشعري بأنك آمنة إلى هذا الحد.

برناردا: آمنة جداً!

بونثيا: مَنْ يدري، قد يضرب البرق فجأة. مَنْ يدري، لكن، إذا حدث فجأة تماماً، وباندفاعة دماء، قد يتوقف قلبك.

برناردا: لن يحدث شيء هنا. أنا يقظة الآن لكل شكوكك.

بونثيا: كل الخير لك.

برناردا: بالتأكيد، كل الخير!

خادم *[تدخل]*: أنهيتُ الأطباق للتو. هل هناك شيء آخر يا

برناردا؟

برناردا *[تنهض]*: لا شيء. سأذهب لأستريح.

بونثيا: في أية ساعة تريدين مني أن أوقظك؟

برناردا: لا. الليلة أنوي أن أنام نوماً عميقاً.

[تخرج]

بونثيا: حين تعجز أمام البحر، من الأسهل لك أن تدير ظهرك له وتكفّ عن النظر إليه.

خادم: إنها متكبرة جداً! هي نفسها التي تسدل الغمامة على عينيها.

بونثيا: لا أستطيع أن أفعل شيئاً. حاولت أن أبعد المصائب، لكنها تخيفني الآن كثيراً جداً. تحسين بهذا السكون؟ ـ في كل غرفة توجد عاصفة رعدية ـ وفي اليوم الذي تقصف فيه، ستكتسحنا كلنا معها. لكنني قلت ما عليّ قوله.

خادم: تظن برناردا أنْ لاشيء يقف أمامها، لكنها لا تعرف القوة التي يتمتع بها رجل بين نساء وحيدات.

بونثيا: ليست غلطة بيبي إلـ رومانو. صحيح أنه كان يجري وراء أديلا في العام الماضي؛ وأنها جُنّت به ـ لكن عليها أن تلزم حدودها وألا تغريه على فعل ما لا يريده. الرجل رجل.

خادم: يوجد مَنْ يعتقد أن عليه ألا يتكلم كثيراً مع أديلا.

بونثيا: ذلك صحيح.

[بصوت خافت]

وبعض الأمور الأخرى.

خادم: أنا لا أعرف ما الذي سيحدث هنا.

بونشيا: كم أود أن أبحر في البحر وأترك هذا البيت، أرض المعركة هذا، خلفي!

خادم: برناردا تتعجل الزفاف ومن الممكن ألا يحدث أي شيء.

بونشيا: الأمور تجاوزت الحدود. وأديلا مصممة مهما كان ما يحدث، وبقيتهن يراقبن دون راحة.

خادم: ومارتيريو أيضاً...؟

بونشيا: تلك الفتاة هي أسوأهن. إنها بركة سمّ. هي تعرف أن إلـ رومانو ليس لها، وستغرق العالم لو كان بيدها إغراقه.

خادم: كم هن كلهن سيئات!

بونشيا: هنّ نساء بلا رجال، هذا كل شيء. وفي أمور كتلك، حتى الدم يُنسى. هس ـ س ـ س!

[ترهف السمع]

خادم: ما الأمر؟

بونشيا *[تنهض]*: الكلاب تنبح.

خادم: لا بد أن أحداً مرّ بالباب الخلفي.

[تدخل أديلا وهي تلبس قميصاً داخلياً أبيض]

بونشيا: ألم تأوي الى فراشك بعد؟

أديلا: أريد جرعة ماء.

[تشرب من كأس على الطاولة]

بونشيا: ظننت أنك كنت نائمة.

أديلا: عطشت فصحوت. ألا تذهبا لتنالا قسطاً من الراحة؟

خادم: بعد لحظات.

[تخرج أديلا]

بونثيا: لنذهب.

خادم: يقيناً أننا يجب أن نكسب بعض النوم. فلن تسمح لي برناردا أن أستريح طيلة النهار.

بونثيا: خذي المصباح.

خادم: جُنّت الكلاب.

بونثيا: لن تتركنا ننام.

[تخرجان. يبقى المسرح شبه مظلم، تدخل ماريا خوسفا وبين ذراعيها حمل]

ماريا خوسفا *[تغني]*: يا حملاً صغيراً، يا طفليَ

لنذهب إلى شاطىء البحر،

النملة الصغيرة ستكون عند فتحة بابه،

سأرعاك وأعطيك خبزك.

برناردا، أنت وجه فهد عجوز،

ومجدالينا، أنت وجه ضبع،

يا حملاً صغيراً،

تأرجح واهتز،

لنذهب إلى النخيل عند بوابة بيت لحم.

[تضحك]

لا أنتَ ولا أنا نريد أن ننام

الباب سينفتح بنفسه

وإلى شاطىء البحر سنذهب ونختبىء

في كوخ مرجان صغير.
برناردا، أنت وجه فهد عجوز،
ومجدالينا، أنت وجه ضبع،
يا حملاً صغيراً...
تأرجح واهتز،
لنذهب إلى النخيل عند بوابة بيت لحم.

[تذهب وهي تغني. تدخل أديلا. تنظر حولها في حذر ثم تختفي خارج الباب المؤدي الى الحظيرة. تدخل مارتيريو من باب اخر وتقف قرب وسط المسرح بترقب معذب. هي تلبس قميصاً داخلياً أيضاً. وتغطي نفسها بشال أسود صغير. تعبر ماريا خوسفا المسرح أمامها]

مارتيريو: جدتي، إلى أين تذهبين؟

ماريا خوسفا: ستفتحين الباب لي؟ مَن أنت؟

مارتيريو: كيف خرجت إلى هنا؟

ماريا خوسفا: هربت. أنتَ، مَن أنت؟

مارتيريو: عودي إلى الفراش.

ماريا خوسفا: أنت مارتيريو. أنا أراك الآن. مارتيريو، يا وجه شهيد! ومتى ستضعينَ طفلاً؟ وضعتُ أنا هذا.

مارتيريو: من أين أتيت بهذا الحمل؟

ماريا خوسفا: أعرف أنه حَمَل. لكن، ألا يمكن أن يكون الحمل طفلاً؟ من الخير أن يكون لديك حَمل على ألا يكون لديك أي شيء أبداً. برناردا العجوز، وجه فهد، ومجدالينا، وجه ضبع!

مارتيريو: لا تصيحي.

ماريا خوسفا: هذا صحيح. كل شيء مظلم جداً. لأن شعري

أبيض، تظنين أنني لا أستطيع أن أنجب طفلاً، لكنني أستطيع ـ أطفال وأطفال وأطفال. سيكون لـ هذا الطفل شعر أبيض، وسيكون لي هذا الطفل، وطفل آخر، وهذا طفل آخر؛ وكلنا بشعر أبيض ثلجي، سنكون كالأمواج ـ موجة ثم أخرى وأخرى. ثم سنجلس كلنا ولنا كلنا رؤوس بيض، فنكون زبد بحر. لماذا لا يوجد زبد بحر هنا؟ لا يوجد شيء هنا سوى أكفان حداد.

مارتيريو: هس، هس.

ماريا خوسفا: حين تلد جارتي طفلاً، سأحمل لها بعض الشكولاتة وبعدئذ تحضر هي لي بعض الشكولاتة، وهكذا دواليك ـ دائماً ودائماً ودائماً. يبيض شعرك، لكن جاراتك لن يأتين. الآن، عليّ أن أذهب، لكنني أخشى أن تعضني الكلاب. ألن تأتي معي حتى الحقول؟ أنا لا أحب الحقول. أنا أحب البيوت، لكن البيوت المفتوحة، والنساء الجارات نائمات في فراشهن مع أطفالهن الصغار، والرجال في الخارج يجلسون في كراسيّهم. بيبي إلـ رومانو عملاق. كلكن تحببنه. لكنه سيلتهمكن لأنكن حبّات قمح. لا، لستن حبات قمح. ضفادع بلا ألسنة!

مارتيريو *[بغضب]*: هيا، إلى الفراش معك.

[تدفعها]

ماريا خوسفا: نعم، لكنك ستفتحين لي الباب بعدئذ، أليس كذلك؟

مارتيريو: طبعاً.

ماريا خوسفا *[تبكي]*: يا حملاً صغيراً، يا طفلي.

لنذهب إلى شاطىء البحر،
النملة الرقيقة ستكون عند فتحة بابه،
سأرضعك وأعطيك خبزك.

[تقفل مارتيريو الباب الذي خرجت منه ماريا خوسفا، ثم تتوجه إلى باب الفناء. هناك تتردد، ثم تخطو خطوتين الى الأمام]

مارتيريو *[بصوت خافت]*: أديلا!

[صمت، تتقدم إلى الباب. ثم تنادي]

أديلا!

[تدخل أديلا، شعرها مشعث]

أديلا: ولماذا تبحثين عني؟

مارتيريو: ابتعدي عنه.

أديلا: مَنْ أنت لتطلبي مني هذا؟

مارتيريو: ذلكَ ليس المكان اللائق بامرأة شريفة.

أديلا: كم تتمنين لو كنت أنت هناك!

مارتيريو *[تصيح]*: هذه هَي لحظتي لأتكلم. لا يمكن أن يستمر هذا.

أديلا: هذه هي البداية تماماً. أنا أتمتع بقوة تكفيني لأدفع نفسي إلى الأمام ـ الروح والجمال اللذان تفتقرين إليهما. لقد رأيت الموت تحت هذا السقف، وخرجت لأبحث عمن هو لي، عما هو ملكي!

مارتيريو: ذلك الرجل بلا روح أتى من أجل امرأة أخرى. وأنتِ دفعتِ بنفسك أمامه.

أديلا: أتى من أجل المال، لكن عينيه ظلتا دائماً عليّ.

مارتيريو: لن أسمح لك بانتزاعه، سيتزوج أنجوستياس.

أديلا: أنت تعرفين خيراً مني بأنه لا يحبها.

مارتيريو: أعرف.

أديلا: تعرفين لأنك رأيتِ ـ إنه يحبني أنا، أنا.

مارتيريو *[بيأس]*: نعم.

أديلا *[مقتربة منها]*: إنه يحبني أنا، أنا.

مارتيريو: إطعنيني بسكين إن شئتِ، لكن لا تخبريني بذلك ثانية.

أديلا: لذلك السبب تحاولين أن تثبتي الوضع حتى لا أهرب معه. لن يشكّل فرقاً لك إنْ هو أحاط بذراعيه امرأة أخرى لا يحبها. ولا يشكّل لي فرقاً أنا كذلك. قد يمضي مع أنجوستياس مائة سنة، لكن، أن يلف ذراعيه حولي أنا، سيبدو لك هذا رهيباً ـ لأنك أنت أيضاً تحبينه! أنت تحبينه!

مارتيريو *[بدرامية]*: نعم! لأقلها دون أن أخفي رأسي. نعم! صدري مرير، يتفجر كرمانة. أنا أحبه!

أديلا *[بلا وعي، تعانقها]*: مارتيريو، مارتيريو، لستُ أنا التي تُلام!

مارتيريو: لا تضعي ذراعيك حولي! لا تحاولي أن تنعّمي الموضوع. لم يعد دمي دمك، حتى وأنا أحاول أن أنظر إليك كأخت، أراك مجرد امرأة أخرى.

[تدفع بها بعيداً]

أديلا: لا يوجد مخرج هنا. التي عليها أن تغرق ـ لتغرق. بيبي

لي. سيحملني إلى أجمة الأسل على طول ضفة النهر...

مارتيريو: لن يحملك!

اديلا: أنا لا أحتمل هذا البيت المرعب بعد مذاق فمه. سأكون ما يريد مني أن أكون. كل مَنْ في القرية ضدي، يحرقونني بأصابعهم النارية؛ مطاردة من أولئك الذين يزعمون أنهم شرفاء، وسأضع، أمامهم كلهم، إكليلَ الشوك، إكليل عشيقة رجل متزوج.

مارتيريو: هس!

اديلا: نعم! نعم

[بصوت خافت]

لنذهب إلى الفراش. لنتركه يتزوج أنجوستياس. لم أعد أبالي، لكنني سأذهب وحيدة إلى بيت صغير حيث يأتي لزيارتي حينما يريد، حينما يحب هذا.

مارتيريو: لن يحدث ذلك أبداً! لن يحدث طالما جرت في جسدي قطرة دم.

اديلا: أنت لست ضعيفة فقط، بل أنت فرس جموح أستطيع أن أجبرها على الركوع على ركبتيها بقوة أصَبعي الصغير فقط.

مارتيريو: لا ترفعي صوتك ذلك عليّ. إنه يغضبني. لدي قلب مليء بقوة شريرة جداً إلى حد أنها، دون أن أريد هذا، تغرقني.

اديلا: أنت ترينا الطريقة التي نحب بها شقيقاتنا. لا بد أن الله قصد أن يتركني وحيدة في وسط الظلام، لأنني أراك كما لم أركِ من قبل.

[يسمع صفير فتجري أديلا نحو الباب، لكن مارتيريو تعترض طريقها وتقف أمامها]

مارتيريو: إلى أين أنت ذاهبة؟

أديلا: ابتعدي عن هذا الباب.

مارتيريو: تَعدّيني إذا استطعت.

أديلا: ابتعدي!

[تتصارعان]

مارتيريو *[تصيح]*: أمي! أمي!

أديلا: أتركيني أذهب!

[تدخل برناردا. تلبس قميصاً داخلياً وشالاً أسود]

برناردا: هدوء! هدوء! كم أنا مسكينة بلا حتى رجل يساعدني!

مارتيريو *[تشير إلى أديلا]*: كانت معه! أنظري إلى هذه التنورة وقد غطاها القش!

برناردا *[تتقدم من أديلا بعنف]*: ذلك فراش امرأة سيئة!.

أديلا *[تواجهها]*: ستوضع نهاية إلى أصوات السجن هنا!

[تنتزع أديلا عصا أمها وتكسرها إلى نصفين]

هذا ما أفعله بعصا الطاغية. لا خطوة أخرى. لا أحد سوى بيبي يأمرني!

[تدخل مجدالينا]

مجدالينا: أديلا!

[تدخل بونثيا وأنجوستياس]

أديلا: أنا له.

[إلى أنجوستياس]

إعلمي هذا ـ واخرجي إلى الفناء واسأليه. سيكون السيد في هذا البيت.

أنجوستياس: يا إلهي!

برناردا: البندقية! أين البندقية؟

[تندفع خارجة. تجري بونثيا أمامها. تدخل أميليا وتنظر في فزع وقد أسندت رأسها الى الجدار. خلفها، تأتي مارتيريو]

أديلا: لن يستطيع أحد إيقافي! *[تهم بالخروج]*

أنجوستياس *[تمسك بها]*: لن تخرجي من هنا بنصرِ جسدك! لصة! عار هذا البيت!

مجدالينا: لتذهب إلى حيث لا نراها ثانيةً!

[تُسمع طلقة]

برناردا *[تدخل]*: حاولي البحث عنه الآن!

مارتيريو *[تدخل]*: ذلك ينهي بيبي إلـ رومانو.

أديلا: بيبي! يا إلهي! بيبي!

[تخرج مسرعة]

بونثيا: هل قتلته؟

مارتيريو: لا. هَرب مسرعاً على مهره!

برناردا: كانت غلطتي. المرأة لا تستطيع أن تصوب.

مجدالينا: إذن، لماذا قلت...؟

مارتيريو: لها! أود أن أصَب نهرَ دماء على رأسها.

بونثيا: اللعنة عليك!

مجدالينا: شيطان!

برناردا: مع أن هذه هي أفضل طريقة!

[يُسمع صوت خبطة]

أديلا! أديلا!

بونثيا *[عند الباب]*: إفتحي هذا الباب.

برناردا: إفتحي، لا تظني أن الجدران ستستر عارك!

خادم *[تدخل]*: كل الجيران صحوا!

برناردا *[بصوت خافت، لكنه كالزئير]*: إفتحي! أو سأحطم الباب!

[صمت. كل شيء ساكن]

أديلا!

[تبتعد عن الباب]

مطرقة!

[ترمي بونثيا بجسمها على الباب. ينفتح وتدخل. حين تدخل، تصرخ وتتراجع إلى الخلف]

ما الأمر؟

بونثيا *[ترفع يديها إلى رقبتها]*: اللهم لا تمتنا كذلك!

[تتراجع الأخوات. تصلّب الخادم على نفسها. تصرخ برناردا ثم تتقدم إلى الأمام]

لا تدخلي!

برناردا: لا، لستُ أنا! بيبي، أنتَ تجري الآن، حياً، في الظلام، تحت الأشجار، لكن، ذات يوم، ستسقط. إقطعوا الحبل وأنزلوها! ابنتي ماتت عذراء. إحملوها إلى غرفة أخرى وألبسوها كأنها

كانت عذراء. لن يقول أحد شيئاً عن هذا! ماتت عذراء! أخبريهم حتى تقرع الأجراس عند الفجر مرتين.

مارتيريو: ألف مرة سعيدة هي التي حظيت به!

برناردا: ولا أريد بكاء. يجب أن يُنظر إلى الموت وجهاً لوجه. سكوت!

[إلى إحدى بناتها]

قلت: أسكتي!

[إلى بنت أخرى] الدموع حين تكونين وحدك! سنغرق أنفسنا في بحر حداد. هي، ابنة برناردا ألبا الصغرى، ماتت عذراء. هل سمعتنني؟ قلت: سكوت، سكوت. سكوت.

ستار

صدر × ويصدر - عن الأهلية:

من المسرح العالمي

ترجمة وإشراف: **سمير عزت نصّار**

برناردشو (نوبل ١٩٢٥) × السلاح والإنسان

- مسرحيات سارّة:
  ١. منازل الأرامل
  ٢. المغازل
  ٣. مهنة السيدة وارين
- مسرحيات غير سارة:
  ١. السلاح والإنسان
  ٢. كانديدا
  ٣. رجل القدر
  ٤. لا يمكنك أن تحزر
- ثلاث مسرحيات للمتطهرين:
  ١. تابع الشيطان
  ٢. قيصر وكليوباترا
  ٣. هداية قبطان براسباوند
- إنسان وسوبرإنسان
- عودة إلى متوشالح

أنطون تشيخوف × بستان الكرز

- مسرحيات أولى: ١٢ مسرحية قصيرة

هنريك إبسن

× أعمدة المجتمع
× السيدة من البحر
× بيت دمية
× البطة البرية
× أشباح
- هيدا جابلر
- عدو للشَعب

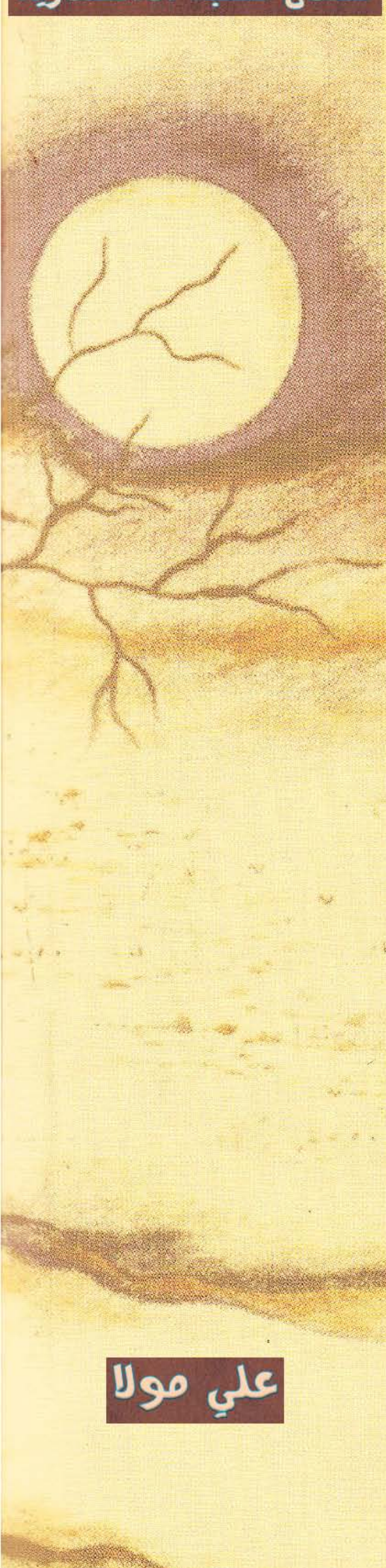
ستردنبيرج
× الآنسة جوليا
- الأب

صامويل بكيت (نوبل ٦٩)
- في انتظار جودو
- نهاية اللعبة
- أيام سعيدة
- المسرحيات القصيرة الكاملة

هارولد بينتر
- المجلد الأول

جان أنوي
× أنتيجونا

جارسيا لوركا
× ثلاث تراجيديات:
١. عرس الدم
٢. يرما
٣. بيت برناردا ألبا



ثلاث تراجيديات



سلسلة المسرح العالمي

فِدريكو غارسيا لوركا

في 1936 اغتالت الفاشية الإسبانية شاعر إسبانيا : لوركا ودفنته في قبر مجهول، لتسكت الصوت المدافع عن هذا الشعب الذي مزّقه الصراع بين اليمين واليسار في عهد ما قبل فرانكو . واثناء حياة هذا الشاعر القصيرة ، كتب عدة مسرحيات تتراوح بين القصيرة والطويلة ، بين الكوميديا والثلاث تراجيديات التي بين يدي القارىء .

ولا غرو أن يكتب لوركا للمسرح ، فقد ظل مغرماً ، إن لم نقل مهووساً، بالمسرح منذ طفولته ؛ فقد كان يمثل أمام أفراد ويبني دمى تمثل مسرحاً ويحرّك فيه شخوصه الخيالية . وظل يشاهد المسرح الحي حيثما يحل ، ويقرأ الأعمال المسرحية مهما تعددت جنسيات كتّابها ، حتى في أحرج الأزمات وأصعب المواقف . كما عمل مخرج مسرح جوّال . ومن حصيلة تجاربه وثقافته هذه ظهرت مسرحياته الخالدة إضافة إلى أشعارة الرائعة .

والتراجيديات الثلاث تدور حول المرأة ومشاكلها ونفسيتها في المجتمع الإسباني : فالعروس في عرس الدم تصطدم بالزواج من غير مَنْ تحب ، ويرما تصارع في سبيل حقها الطبيعي في الإنجاب وبنات برناردا ألبا يبحثن عن الرجل - الزوج ، وهن سجينات بيت أمهن : بيت برنارد ألبا .

إن وضوح الفكرة في كل مسرحيَات لوركا لا يؤدي إلى تسطيح العمل الدرامي لديه ؛ فالشخوص في أعماله حيّة ، والفكرة تنبع من الفعل والشخوص والبيئة .. الخ . كما أن جمال البناء المسرحي وعفوية الحوار وحسن إيقاعه وارتباطه بكل شخصية ، حسب طبيعتها ، يضفي عمقاً وجمالاً على هذه التراجيديات .

علي مولا

ISBN 978-6589-07-907-2





الأردن ، عمّان ، وسط البلد ، شارع الملك حسين - بناية رقم 12 ، ص . ب 7855
هاتف 4638688 6 00962 فاكس 4657445 6 00962 ♦ منشورات العام 2011